أزمة العقل العربي

مناظرة بين كل من

الأستاذ الدكتور / محمد عمارة   والأستاذ الدكتور / فؤاد زكريا

إدارة الأستاذ / سعد الرميحي

مدير التليفزيون القطري



أزمة العقل العربى

مناظرة بين كل من

الأستاذ الدكتور / فؤاد زكريا والأستاذ الدكتور / محمد عمارة

إدارة / الأستاذ سعد الرميحى
مدير التليفزيون القطرى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا أشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم . أما بعد ...

فلقد سبقت هذه المناظرة ثلاث مناظرات في مصر : اثنتان منهما في مدينة القاهرة والثالثة في مدينة الاسكندرية .

* أما **الأولى** فقد جرت وقائعها بمقر نقابة الأطباء في القاهرة في صيف عام ١٩٨٦ بين كل من فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور فؤاد زكريا حول الإسلام والعلمانية .

* وأما **الثانية** فهي مناظرة معرض الكتاب الشهيرة : « مصر بين الدولة الدينية والدولة المدنية » والتي جرت بين كل من : فضيلة الشيخ محمد الغزالي والدكتور محمد عماره والمستشار مأمون الهضيبي كطرف إسلامي ، والدكتور محمد خلف الله والدكتور فرج فوده كطرف علماني في يناير سنة ١٩٩١ ، وقد يسر الله لنا القيام بدراسة حول هذه المناظرة وإخراجها تحت عنوان : المواجهة بين الاسلام والعالمانية

* وأما **الثالثة** فهي التي جرت في نقابة المهندسين بالاسكندرية في نفس الشهر وتحت نفس العنوان ، واشترك فيها كل من : الدكتور محمد عماره والدكتور محمد سليم العوا كممثلين عن الجانب الإسلامي ، والدكتور فؤاد زكريا والدكتور فرج فوده كممثلين عن الجانب العالماني ، وقد يسر الله لنا عمل دراسة حول هذه المناظرة كذلك وإخراجها تحت عنوان : تهافت العالمانية في مناظرة نقابة المهندسين بالاسكندرية.

والمتأمل في هذه المناظرات على تعدد مواقعها واختلاف أقطابها يدرك أنها تتمحور حول قضية واحدة كثر حولها الجدل وتفجر حولها الصراع في الآونة الأخيرة ألا وهي مرجعية الشريعة وعلاقة الدين بالدولة ، فلا تكاد تجد في هذه المناظرات الا انتصارا للإسلام ودعوة إلى تحكيم الشريعة من طرف ، واختزالا للإسلام في جانب العبادات ودعوة سافرة إلى الفصل بين الدين والدولة من الطرف المقابل ! وقد أوشك هذا الصراع أن يسفر عن خندقين كبيرين يقف في أحدهما دعاة الإسلام وفي الآخر دعاة العلمانية !

ولم يكن تبلور المواقف في الساحة العربية الإسلامية على هذا النحو بمعزل عما يجرى على الساحة العالمية من مستجدات ومتغيرات بل كان انعكاسا له وتجسيدا مباشرا لأصدائه ؛ فإن سقوط المعسكر الشيوعي وتراجع دوره على الرقعة العالمية قد استنفر المجتمعات الغربية للبحث عن بديل تحشد حول عداوته شعوبها وأولياءها فوجدت فيما سموه الأصولية الإسلامية ذلك البديل المنشود فانطلقت مراكز بحوثهم ومؤتمراتهم ووسائل أعلامهم تدق طبول الحرب وتستنفر العالم كله على ذلك المارد الذي يوشك أن يخرج من القمقم ليطوي الأرض كلها تحت لوائه كما طواها أول مرة في فجر البعثة المحمدية ومثل العالم الأول على مسرح الكون لأكثر من عشرة قرون !!

• وفي هذا الإطار كان كتاب «انتهزوا الفرصة » الذي كتبه الرئيس الأمريكي

الأسبق نيكسون يستنفر فيه العالم المسيحي لمهاجمة الإسلام والمسلمين ، ويقرر فيه أن المواجهة القادمة بعد انتهاء الشيوعية ستكون مواجهة بين المسيحية والإسلام !!

• وفي هذه الإطار كذلك كانت مقولة جيفاني دي بكليس وزير خارجية إيطاليا وسكرتير عام المجمع الأوربي في النيوزويك بتاريخ ٢ / ٧ / ١٩٩٠ التي يدعو فيها إلى ضرورة تقوية حلف الناتو حتى بعد هزيمة دول حلف وارسو وإلغاء الحلف نفسه لمواجهة الخطر المستقبلي وهو الإسلام !!

• وكانت مقولة الواشنطن بوست الأمريكية في ١٦ / ٢ / ١٩٦٠ « أن الصحوة الإسلامية العالمية هي قوس الأزمات الجديدة » !

• وعلى مستوى القادة وصناع القرار رأينا تهديد الرئيس الفرنسي ميتران بعودة فرنسا إلى احتلال الجزائر إذا حكمتها الأصولية !

• ورأينا السفيرة الأمريكية بالجزائر والمسئولة سابقا في إدارة الاستخبارات بالخارجية الأمريكية تنقل إلى الرئيس الجزائري الأسبق الشاذلي بن جديد قبل ٢٤ ساعة من استقالته أن اجراءات تنوى بلادها اتخاذها ضد الجزائر بالتعاون مع أوربا بسبب سماحة بقيام دولة إسلامية ورفضه لاقتراحات الجيش بالتدخل ، بل بلغ الأمر بشامير أن يطالب قادة الدول العربية بمحاربة حماس لأن أصوليتهم تهدد الجميع !!

وسرعان ما تجاوبت مع هذه النغمة الوافدة جميع مؤسسات الحكم وأجهزة الاعلام في عالمنا العربي والإسلامي ، وتوحدت مصالح هذه الأجهزة فى هذه المواجهة حتى بلغ الأمر بالحسن بن طلال ولي عهد الأردن أن يصرح للنيويورك تايمز في ٢٩ / ٥ / ١٩٩٠ بأن إسرائيل ليست هي العدو الحقيقي للدول العربية ! وإنما العدو للحكومات العربية وإسرائيل إنما هو موجة التعصب الديني !! وينبغي قيام تعاون مشترك

بين الحكومات العربية وإسرائيل لمواجهة هذه الموجة حتى لا تشهد المنطقة حربا من باكستان إلى المغرب العربي !! وهكذا أصبح التهييج على دعاة الإسلام وحملة الشريعة هو القاسم المشترك الذي يجمع بين هؤلاء في تظاهر وتواطؤ لا تخطئه العين .

إذن فهو انحياز الكفر كله داخليا وخارجيا إلى معسكر واحد وقد اتخذ من العلمانية ومن مواجهة خطر الأصولية راية تجمع بين وحداته المتنافره وهدفا جامعاً تلتقي عليه شيعة المتنازعة والتي يبلغ مابينها من التنافر والتنازع في أغلب الأحيان مبلغ النقيض من النقيض .

وفي هذه المناظرة يسطع نجم الدكتور عماره - كعادته دائما في كل مناظراته - وهو يميط اللثام عن مغالطات العالمانيين ، ويفضح مزاعمهم حول الحرية والديموقراطية والعقلانية والتنوير والمشروع الحضاري والمجتمع المدني ونحوه الأمر الذي حدا بالدكتور فؤاد زكريا أن يناور في مستهل تعليقه على كلمة الدكتور عمارة بإعلان براءته من هؤلاء العلمانيين الذين يتحدث عنهم الدكتور عمارة و وقوفه معه في التصدي لهم !!

ولا نريد أن نطيل على القارئ في هذا التقديم وإنما نتركه مع هذه المناظرة التي نثبتها بنصها والتي لم يزد عملنا فيه على إضافة عناوين تبرز الأفكار الرئيسية في كلمات المتناظرين بالإضافة إلى بعض التعليقات اليسيرة في المواضع التي تمس الحاجة فيها إلى مثل هذه التعليقات !

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

المناظرة والمناظرون فى سطور

* جرت وقائع هذه المناظرة - بدعوة من « نادى الجسرة » - «فى الدوحة » - بدولة « قطر » فى يوم الإثنين - ٢٢ من ربيع الثاني سنة ١٤١٣ هـ - ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٩٢م - وذلك فى أكبر قاعة بدولة قطر - قاعة فندق شيراتون - وبحضور جمهور لم يسبق له نظير فى تاريخ النشاط الثقافى بقطر .. ضم كوكبة من العلماء والوزراء والسفراء .

* ولقد بدأت وقائعها بتقديم من الأستاذ « يوسف درويش » - رئيس النادى - حول أهمية الموضوع «**أزمة العقل العربى**» ، وتقديره للمكانة الفكرية للمتناظرين - الأستاذ الدكتور : فؤاد زكريا .. والأستاذ الدكتور : محمد عماره - .. ثم قدم تعريفا بهما موجزا فى نقاط :

الدكتور / فؤاد زكريا :

- ولد فى الأول من ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ببور سعيد .
- حصل علي ليسانس الآداب سنة ١٩٤٩ م ، والماجستير سنة ١٩٥٢ م ، والدكتوراه سنة ١٩٥٦ م .
- شغل وظيفة مدرس مساعد بآداب عين شمس ، وأستاذا ورئيس قسم بجامعة الكويت سنة ١٩٧٨ م .
- عضو اللجنة المصرية الوطنية لليونسكو ، وأمين مجلس العلوم الاجتماعية فى أكاديمية البحث العلمى ، ورأس تحرير مجلتى « الفكر المعاصر » و « تراث الانسانية » ، ومستشارا لسلسلة «عالم المعرفة» بالكويت .

- شارك فى العديد من المؤتمرات داخل وخارج العالم العربى .

- من مؤلفاته : (كم عمر الغضب) و (الحقيقة والوهم فى الحركة الاسلامية المعاصرة) و (الصحوة الاسلامية فى ميزان العقل) و (جمورية أفلاطون) ترجمة .

- حصل علي جوائز جامعية : جائزة الاعلام سنة ١٩٤٩ ، وجائزة واصف غالى سنة ١٩٥٢ م . وجائزة الدولة التشجيعية - فى الفلسفة - سنة ١٩٧٤ م ، وجائزة الكويت للتقدم العلمى - عن أحسن كتاب مترجم - سنة ١٩٨٣ م ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولي .

الدكتور / محمد عمارة :

- مفكر إسلامى .

- ولد بمصر - فى سروة مركز قلين محافظة كفر الشيخ - فى ٨ /١٢/ ١٩٣١ م .

- درس بالأزهر - بعد أن حفظ القرآن بكتاب القرية - تسع سنوات - حتي حصل علي الثانوية الأزهرية . ثم التحق بدار العلوم - جامعة القاهرة - ونال منها درجة الليسانس فى اللغة العربية والعلوم الإسلامية .

- ومن دار العلوم حصل على الماجستير والدكتوراه - فى الفلسفة الإسلامية - وكانت أطروحته للماجستير (عن المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية) ، والدكتوراه عن (الاسلام وفلسفة الحكم) .

- بدأت اهتماماته بالفكر والكتابة مبكرا .. فنشر - وهو طالب - فى الصحف والمجلات المصرية والعربية - شعرا ونثرا .. ونشر أول كتبه - وهو طالب بدار

العلوم – عن (القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب) سنة ١٩٥٨ م .

- متفرغ – تقريبا – للعمل العلمى .. ولقد قدم للمكتبة العربية والإسلامية أكثر من ثمانين كتابا – ما بين تأليف وتحقيق لتراثنا – القديم منه والحديث – .. من بينها : (معالم المنهج الإسلامى) و (الإسلام والفنون الجميلة) و(الرد علي شبهات العلمانيين) و (الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري) و (أزمة الفكر الإسلامي المعاصر) و (الإسلام وحقوق الإنسان) و (الغزو الفكرى وهم أم حقيقة ؟) و (تيارات الفكر الإسلامى) و (العرب والتحدي) و (إسلامية المعرفة) و (معركة الإسلام وأصول الحكم) و (الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية) و (مسلمون ثوار) .. إلخ .. إلخ .. وتحقيق ودراسة الأعمال الكاملة للطهطاوى ، والأفغانى ، ومحمد عبده ، والكواكبى ، وعلي مبارك ، وقاسم أمين .. و (فصل المقال) – لابن رشد – و(الأموال) – لأبي عبيد القاسم بن سلام – و (رسائل العدل والتوحيد) .. إلخ ..

- يبرز في مشروعه الفكري : الاهتمام بقضايا الفكر الإسلامي .. وتراث الاستنارة والعقلانية الإسلامية المتميزة .. وقضايا التمايز والتفاعل الحضارى .. والاجتهاد فى صياغة معالم المشروع الحضارى للنهضة الإسلامية المنشودة .. والنظرة النقدية للتغريب .. وللجمود والتقليد .. والقراءة للتراث فى ضوء الرؤية المعاصرة ..

- ترجمت بعض كتبه إلى اللغات الأنجليزية ، والألمانية ، والروسية ، والتركية ، والأوردية ..

- شارك فى العديد من المؤتمرات العلمية - داخل العالم العربى وخارجه - وأسهم ويسهم فى العديد من المجلات الفكرية المتخصصة ..

- حصل على عدة جوائز منها : جائزة أصدقاء الكتاب سنة ١٩٧٤ - عن تحقيقه الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده .. وجائزة الدولة التشجيعية - بمصر سنة ١٩٧٧ م - في الآداب - عن تحقيقه الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي .. وعلى وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .

- عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .. ومستشار أكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي .

* *ولقد تولى إدارة حوار المناظرة الأستاذ سعد الرميحي . . مدير التليفزيون القطرى .*

وقائع المناظرة

الأستاذ سعد الزميحي :

حقيقة أنا متحير فيمن يبدأ ليتحدث هذه الليلة .. ولكن في لقائي بالأمس ، مع الأستاذين المحاضرين وصلنا إلى أن أكبرهما سنا يبدأ الحديث ، نبدأ بالأستاذ الدكتور : فؤاد زكريا

كلمةالدكتور / فؤاد زكريا

الأخ سعد والسادة الأجلاء[1] ....

موضوعنا اليوم ، كما تعلمون حضراتكم ، هو : أزمة العقل العربي . موضوع يبدو من عنوانه أنه بسيط ، الكلمات المستخدمة فيه شائعة ومتداولة ، وبالرغم من ذلك فإن هذه الكلمات تحمل فى طياتها قدرا لا يستهان به من الغموض ومن الالتباس ومن احتمال تداخل المعانى وتعددها .

ولذلك ، فقد حرصت فى مستهل حديثي على أن أقدم لمحة بسيطة عن طبيعة المفاهيم الثلاثة المستخدمة فى هذا العنوان : «أزمة العقل العربي» . وليست هذه مجرد مقدمة ولا مجرد تمهيد ، بل إننى أعتقد أن ما يقال فى هذا الإطار يدخل بنا فى صميم الموضوع الذى نأمل اليوم أن نعالجه .

(١) يلاحظ القارئ عدم استهلال الكلمة باسم الله أو بأى لغة إيمانية ! وهذا لا يمثل ذهولا عارضا في هذه المناظرة بل هو منهج مضطرد في سائر كتابات ومحاضرات الدكتور فؤاد زكريا فلا نعرف له كتابا ولا مقالا ولا لقاء بدأه باسم الله !

المفهوم الأول : هو كملة « أزمة »

الشعور بالأزمة لاينفك عنه مجتمع

أول كلمة هي كلمة «أزمة» : نحن دائما نقول : أزمة كذا وكذا ، ونحن نعانى من أزمة كذا وكذا . يخيل إلينا فى بعض الأحيان أن عصرنا وحده أو أن مجتمعنا وحده هو الذى يعاني من أزمة ، وأن الآخرين مرتاحون لا تنتابهم أزمات ، ولكن فى واقع الأمر لو استعرضنا المجتمعات الأخرى المحيطة بنا ، أو المجتمعات التي تعاقبت على مدى التاريخ، فسوف نجد أنه لا يكاد يكون هناك مجتمع إلا ويشعر هذا الشعور نفسه . اقرؤا التاريخ ، اقرؤا القدماء ، اقرؤا المحدثين ، واقرؤا من يعيشون فى أبعد المجتمعات عنا ، ستجدون فى معظم الأحيان نفس الإحساس .

كلمة أزمة ليست سلبية دائما !!

إن الإنسان أو المفكر يعاني في هذا المجتمع أزمة ، لماذا ؟ لأن التغيير من طبيعة البشر ولأن التغيير يصاحبه دائما إحساس بالأزمة . ومن المهم أن ندرك منذ البداية أن الأزمة ليست دائما شيئا ينبغي تجنبه أو يتبغي التخلص منه أو تجاوزه في كثير من الأحيان تكون الأزمة شيئا إيجابيا ، تكون مقدمة أو تمهيدا أو مدخلا لتغيير هام .أو على الأقل علامة على الوعي بضرورة التغيير ، وبدون وعي لا يكون هناك إحساس بالأزمة .

أردت أن أشرح هذه النقطة ، لأنه ربما اعتقد البعض أن كلمة الأزمة دائما سلبية المعنى ، وهذا ليس صحيحا .

المفهوم الثاني هو كلمة «العقل»

ما المقصود بالعقل ؟ طريقة التفكير ؟ أم الأفكار ذاتها

هذه الكلمة شديدة التعقيد ، بالرغم أنها متداولة على ألسنتنا جميعا . شديدة التعقيد بصرف النظر عن التعقيدات الكثيرة المصاحبة لهذه الكلمة ، فيكفينا أن نسأل : ما الذي نقصده بالعقل ، في ندوة من هذا النوع ؟ عندما نتحدث عن أزمة العقل العربي ؟ هل نقصد بالعقل الطريقة التى يفكر بها الإنسان العربي ؟ أم نقصد نوع الأفكار التي يحتشد بها أويمتليء بها عقل الإنسان العربي ؟ هذان شيئان مختلفان . طريقة التفكير ، أو كما يشيع تسميتها بمنهج التفكير شيء ، ومحتوى التفكير أو نوع الأفكار الموجودة بالعقل شيء آخر . فمن الممكن أن نتحدث عن أزمة فى طريقة تفكيرنا ، ومن الممكن أن نتحدث عن أزمة في تلك الأفكار التي تملأ أذهاننا ، أو التي تشيع بيننا ، فهذا أيضا تحديد ينبغي القيام به .

هل العقل هو الذي يولد الأزمة أم أنه ضحية لها ؟

ثم نسأل أنفسنا : هل العقل هو الذي يولد الأزمة ؟ أم أن العقل ضحية لأزمة تأتي من مصادر أخرى ؟ هل أزمة العقل سبب أم نتيجة ؟ لماذا ؟ من الشائع عند الكثير من المثقفين بأنه لا يوجد شيء اسمه عقل يفكر فى فراغ . كل عقل مرتبط بمجتمع معين ، له ظروف معينة وأوضاع يتميز بها ، وهذه الأوضاع لا بد أن تنعكس على عقل الإنسان وعلى تفكيره في هذا المجتمع ، هذا رأي شائع . فإذا صح هذا تكون أزمة العقل نتيجة لأزمات أخرى ، ممكن أن نقول إنها أزمات اجتماعية ، أخلاقية ، سياسية – دينية .. الخ .. ولكن من الممكن أن ننظر إلى هذه المسألة من زاوية أخرى . فنتساءل : هل يكتفي عقل الإنسان بأن يكون انعكاسا للظروف المحيطة به ، أو مجرد

تعبير عنها؟ هل هذه هي مهمة العقل البشري ؟ أم أنه يتحكم في هذه الظروف ويغيرها ؟

الإنسان كما قلت في البداية ، كائن دائم التغير ، ينتقل دائما من موقع إلى موقع على المستوى المعنوي أو على المستوى المادي هذا التغير أثبت لنا التاريخ أنه يبدأ عادة فى عقل الإنسان ، ثم يترجم إلى واقع فيما بعد . الأفكار الكبرى التي تحولت عن طريقها البشرية هي أفكار ظهرت في عقل إنسان ما ، وبعد ذلك أمكن تحويل هذه الأفكار إلي واقع ملموس . إذا صح هذا تصبح المسألة عكس ما قلت منذ قليل . فى هذه الحالة يمكن أن تكون هناك أزمات فعلية للعقل ، أزمات من صنع العقل نفسه ، وتنعكس من العقل على المجتمع . فإذن ، هناك وجهان لهذه المسألة ، ومن يقول إن العقل ما هو إلا حصيلة ظروف اجتماعية أو واقع اجتماعى معين ، يقول قولا صحيحا ، ولكنه غير كاف ، لأنه يتجاهل الجانب الآخر للعقل ، وهو قدرة العقل على تجاوز هذا الواقع وعلى تغييره فى ظروف معينة . هذا عن المفهوم الثاني .

المفهوم الثالث وهو كلمة «العربي»

تعدد أنماط التفكير داخل الإطار العربي

نأتي إلى المفهوم الثالث وهو كلمة العربي هل نريد نحن أن نتحدث عن أزمة العقل العربي بمعنى أن العقل الموجود لدى هذه الفئة من البشر الذين يسمون بالعرب له سمات خاصة ، له طابع خاص يستحق أن يطلق عليه اسم العقل العربي ؟ هل للناس فى هذه المنطقة الخاصة من العالم ، والتي يطلق عليها اسم العالم العربي ، خصائص معينة تجعلهم يفكرون بطرق معينة ؟ طبعا هذا تعميم شديد ، وفى مثل هذا التعميم لا

يعمل المرء حسابا للفوارق الكبيرة . فالعالم العربي يضم بشرا يعيشون في مناطق زراعية مستقرة ، ويضم بشرا من أصل قبلي ، ويضم بشرا ينتمي جدودهم إلى مجتمعات تجارية ، وكل من هؤلاء يفكر بطريقة مختلفة ، من الصعب تعميم نمط واحد من التفكير على كل هؤلاء . ثم حتى على مستوى المجتمع الواحد نجد كبار المثقفين يفكرون بطريقة والإنسان العادي يفكر بطريقة أخرى ، فعندما نتحدث عن أزمة العقل ، هل نقصد الأزمة الموجودة في الطريقة التي يفكر بها الإنسان العادي ؟ أم نقصد النخبة ؟ نقصد تلك الصفوة من المفكرين الموجودين فى المجتمع ؟ هذه أيضا مسألة يجب أن نأخذها بعين الاعتبار ، لأن فى عالمنا العربي كثيرا ما يحدث أن شخصين متجاورين زمانا ومكانا يعيشان في نفس الوطن ، وربما كانا جارين في السكن ، ولكن كلا منهما يعيش في عصر مختلف فى زمن مختلف . هذا شيء ينبغي عمل حسابه عندما نتحدث عن أزمة العقل العربي .

وهكذا ترون ، أن العنوان الذى بدأ بسيطا بريء المنظر يحمل في طياته تعقيدات لا يستهان بها . بما أنني تحدثت عن العقل كمنهج أو كطريقة في التفكير ، والعقل كمجموعة من الأفكار ، فأتصور أن من المفيد أن أقسم حديثي إلى هاتين النقطتين .

جوانب الأزمة في أسلوب التفكير

أبدأ بالكلام عن طريقة التفكير . سأفترض أن هناك سمات مشتركة بيننا جميعا ، أو سأفترض أن هناك سمات أبرز من غيرها وأوضح ، وسأحاول أن ألمس بعض الجوانب التي تدل بالفعل على أننا نعاني أزمة فى أسلوب التفكير ، في الطريقة التي نعالج بها مسائلنا العقلية .

بطبيعة الحال هذا موضوع شديد الاتساع ، وكل موضوعنا اليوم شديد الاتساع ،

ولا بد أن نغفل أشياء أساسية ، ولا بد لكل منا أن يكتفي ببعض النقاط التي يراها هامة ، ويكون هناك تقصير مخل إذا عالجنا موضوعا كهذا فى مدة أقصاها أربعون دقيقة .

الازدواجية الواضحة بين الفكر والسلوك

من الجوانب التي تلفت النظر في الأزمة التى نعانيها فى طريقة تفكيرنا تلك الازدواجية الواضحة بين الفكر النظري وبين السلوك العلمي . كثيرا ما نجد في مجتمعاتنا ، وعلى كافة المستويات سواء على مستوى الفئات المثقفة أو الإنسان العادي ، حديثا يتسم في كثير من الأحيان بالمثالية وبالأخلاق وبالسمو إلى آخره ، على حين أن السلوك الفعلي والتطبيقي يكون عكس ذلك على خط مستقيم . هذه الازدواجية خطيرة جدا ، لأنها تحول فكرنا في كثير من الأحيان إلى مجرد مواعظ كلامية تقال فقط على سبيل إرضاء الناس في ظروف معينة ، على حين أن القائل وربما المستمع في كثير من الأحيان لا يأخذ ما يقال بمحمل الجد. الأمثلة كثيرة جدا على ذلك في حياتنا . الأمثلة الواضحة بين دعوة الكثير من الناس إلى الزهد ، في الوقت الذي يجري الكثيرون منهم وراء المنافع والمال والمناصب و ...

سأحاول إلى جانب ذلك أن أضرب بعض الأمثلة من أزمة الخليج الأخيرة ، لأنها أزمة قريبة جدا منا وكلنا أحسسنا بها وعايشناها بكل أعصابنا ومن ثم فإن الأمثلة المستمدة منها لا بد أن تكون واضحة لدينا . على سبيل المثال – وهذا شيء قلته ولا أمل تكراره – المثقفون العرب كانوا يتحدثون دائما عن حقوق الإنسان والديموقراطية والحرية و ... إلخ ... وكم ألفت من كتب وكم ألقي من محاضرات حول هذا الموضوع ، وعندما وضعوا أمام الامتحان العسير صفق الكثير منهم لنظام لايعترف

لابالحرية ولا بالديموقراطية ولا بحقوق الانسان . بل يمثل فى عالمنا المعاصر أبعد المجتمعات عن هذه المعانى النبيلة .

وأنا لا أقول هذا عن بشر عاديين أو عن مواطنين عاديين ، بل أتحدث عن قمم ثقافية عربية سقطت هذه السقطة ، ولا داعي لذكر الأسماء . فكان هذا دليل على أن كل ما كان يقال من قبل إنما كان كلاما نظريا ، وأن المثقف في داخله يعاني ازدواجية متوطنة تجعله يتكلم بطريقة ويسلك بطريقة أخرى .

ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة وإلغاء الآخرين

مثال آخر على أزمة الطريقة التي يفكر بها : اعتقاد كل فريق من الفرق التي تمثل طريقة فكرية فى عالمنا العربي ، بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة ، وبالتالي فإن خصومه على باطل مطلق ، بصورة تامة وكاملة ولا مجال للتفاهم معه . من الشائع ، في الفترة الأخيرة ، أن نتحدث عن التعددية ، بعد ما ظهر شيء اسمه النظام العالمي الجديد ، وقيل لنا إن من أهم سمات هذا النظام التعددية ، وفكرة التعددية أن يكون المجتمع متعدد الاتجاهات الفكرية ، والأهم من ذلك هذه الاتجاهات المتعددة تستطيع أن تتحمل بعضها البعض . هذا هو الأهم . تعدد الاتجاهات ، وألا يلجأ كل فريق إلى تخوين الفريق الآخر أو تكفيره أو إلغائه . هذا هو جوهر التعددية . بطبيعة الحال نحن نرى حولنا تيارات كثيرة تتصور بالفعل أنها تملك الحقيقة المطلقة ، وما دامت الحقيقة التي تملكها مطلقة فلا بد أن يكون كل ما يملكه الآخرون باطلا بطلانا تاما لا مجال للتفاهم معه . هذا اتجاه ضار . والتفكير الذي يسير بهذه الطريقة يمكن أن يؤدى بالمجتمع الذي يشيع فيه إلى أوخم العواقب . للأسف إن بعض التيارات التي تدين بالاسلام السياسي فى مجتمعنا العربي المعاصر ، أقول بعض التيارات وليس كلها ، تؤمن

بالفعل بأنها تملك تلك الحقيقة المطلقة ، وتريد أن تنفي كل ما عداها نفيا تاما ، إن كان بالأسلوب المعنوي فلا مانع ، وإذا دعى الأمر فبالأسلوب المادي أيضا . وهذا شيء ربما تحدثت عن جوانب منه بعد قليل [1] .

ولكن الأمر الذي ربما لم يكن واضحا لدى الكثيرين ، هو أن بعض التيارات الأخرى التي كانت حتى عهد قريب تمثل الطرف الآخر ، مثل التيارات الماركسية والاشتراكية .. إلخ بعضها في مجتمعاتنا كان يفكر بهذه الطريقة ، وهذا هو الشيء الذي يدعو إلى العجب . ومن يتناول كتابا من الكتب التي تمثل هذا التيار في صورته

---

(١) هذه دسيسة من دسائس العلمانية ! نزع القداسة عن المنهج الإسلامي برمته : أصولا وفروعا، ثوابت ومتغيرات ، محكمات ومتشابهات ليقف المنهج الإسلامي بعد ذلك على قدم المساواة مع بقية المناهج العلمانية المطروحة في المعترك السياسي المعاصر .

إن المنهج الإسلامي يفرق بوضوح بين الشرع المحكم الذي يتمثل في الأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع وبين الشرع المؤول الذي يتمثل في موارد الاجتهاد التي تنازع فيها أهل العلم لأنها لم تكن محلا لدليل قاطع من نص صحيح أو إجماع صريح .

فالأول هو وحده الذي يمثل الحقيقة المطلقة التي يجب أن ينتصر لها المسلمون كافة ، والتي من دخل فيها كان من أهل الإسلام المحض ، ومن خرج عنها فقد خرج - هذا تعبير شيخ الإسلام - من الهدى إلى الضلالة .

أما الثاني فلا قداسة لمقرراته ولا عصمة لأصحابه ، ولا ينكر فيه على المخالف إنكارا يؤدي إلى تجريحه أو التثريب عليه ، ولا يختص هذا الأخير بفروع المعاملات فحسب بل منه ما هو من فروع العبادات كذلك ، ولا تزال كلمات الفقهاء الأئمة تدوي على مدى الزمان والمكان ، وهي تنزع القداسة عن اجتهاداتهم البحته واستنباطاتهم المحضه وترد الأمور كل الأمور إلى الله ورسوله .

وهل ينسى التاريخ مقولة إمام دار الهجرة مالك بن أنس : كل الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، ورفضه لما عرضه عليه ثلاثة من خلفاء بني العباس من أن يجعلوا من الموطأ المرجع الأعلى للدولة الإسلامية ! فأين هذا من ادعاء امتلاك المطلق ومصادرة الآخرين ؟!

إن العلمانية المعاصرة تريد أن تنزع القداسة عن أصول الإسلام ومحكمات الشريعة ! فمرجعية القرآن والسنة عندهم من المتغيرات ، وصلاحية الشريعة من المتغيرات ! وحجاب المرأة من المتغيرات ! وحرمة الخمور من المتغيرات ! والويل لمن يجادلهم في ذلك فإن تهمة التطرف وادعاء امتلاك المطلق ومصادرة الآخرين له ولأمثاله بالمرصاد !

الصارخة يجد كله مقسم في نظره إلى فكر مثلا تقدمي وفكر برجوازي ، وتحت كلمة برجوازي يدخل كل ما لا ينتمي إليه هو ، فكانت النتيجة تشويها كاملا لمختلف التيارات الفكرية التي يموج بها عالمنا المعاصر ، وحتى العالم في مراحله التاريخية السابقة . يعني نندهش إذا رأينا حتى في هذه التيارات اليسارية جدا المتطرفة في اليسارية كان هناك شكل مقلوب من أشكال التعبير المعروف : « حزب الله » و « حزب الشيطان » ! هم أيضا كانوا يقولون بشيء من هذا القبيل ، ولكن بصوره مقلوبة ، كل أنواع هذا التفكير المبني على أن الإنسان يمتلك حقيقة مطلقة لاتناقش في تصوري أنه ضار ضررا قادحا [1] . ولابد أن الحد الأدنى المطلوب هو التسامح ، قبول الرأي الآخر ، توجيه النقد إليه بالنصيحة إذا لزم الأمر ، ولكن الابتعاد تماما عن محاولة إلغائه .

هناك نقاط أخرى كثيرة ، ولكن أريد أن أنتقل إلى الجزء الثالث ، حتى ألتزم بالوقت وهو القصد من الأزمة فى مضمون تفكيرنا .

أزمة إبداع

أنا أعتقد أن أزمة العقل العربي فى جوهرها أزمة الفكر العربي ، يعني المضمون نفسه ، محتوى التفكير الذي تمتليء به عقولنا . الأزمة هنا هي أزمة إبداع ، أزمة افتقار إلى الإبداع . اعتقد أننا الآن نشهد مرحلة يظهر فيها هذا الإشكال ظهورا جليا ، نحن نعيش فى عالم فوجئنا ، منذ ثلاث سنوات ، بانقلاب شامل فى أوضاعه . كل المفاهيم والمقولات التي اعتدنا عليها طوال عشرات السنين السابقة ، فجأة اختفت ، وفجأة

---

(١) وهكذا تنتفي بهذا التعميم قدامة القرآن والسنة وتتحول قواطعهما ومحكماتهما لدى الدكتور ومدرسته إلى مفاهيم نسبية واجتهادات بشرية يرد عليها ما يرد على سائر الأفكار الوضعية من التعديل والنسخ والقبول والرد !! بل يؤكد الدكتور في أكثر من موضع من كتبه ومقالاته على تفضيل الفكر الوضعي البحت عن الفكر الوضعي الذي يستند إلى جذور دينيه ! نظرا لمرونة الأول وقابليته للتعديل لاعترافه ببشريته البحتة وجمود الأخير لما يزعمه لنفسه من قدامة زائفة وعصمة مدعاة !!

انقلبت ، وبدلا من أن يكون هناك عالم ثنائي القطبين ، انهار أحد الطرفين انهيارا سريعا لم يكن أحد يتوقعه حتى من أشد خصومه ، والعالم الذي انتصر لا بد أن تتغير معالمه عندما يصبح وحيدا ، ويختلف في هذه الحالة عنه عندما يكون هناك عالم آخر ينافسه . هذا شيء طبيعي .

فوجئنا . موقف جديد ، وهذا الموقف يؤثر على حياتنا ، على سلوكنا ، على أوضاعنا ، على علاقاتنا بالعالم المحيط بنا . لا نستطيع أن نتجاهله على الإطلاق ، لكن للأسف الشديد المثقفين في بلادنا وقفوا حائرين أمام هذه التغيرات . وفي تصوري هذه التغيرات كانت هي اللحظة الهامة جدا للإبداع ، يعني هنا يصبح مجال الإبداع . يعني أبين ، مجتمعات العالم الثالث ، مثل المجتمعات التي نعيش فيها هي نوع مختلف ، وإنه مثلا نحن نحتاج إلى إعادة نظر صحيح ، ولكن لا نتقيد بما يحدث لهذا المعسكر أو ذاك ، لأن مطالبنا من نوع آخر ، وتبنى على هذا بالتدريج بناءات فكرية جديدة نستطيع أن نواجه بها العصر الجديد الذي سيقبل علينا في القرن القادم . عصر مخيف لا نملك إزاءه أن نقف عاجزين ، ولكن الذي حدث عند نسبة كبيرة من المثقفين ، انهم اكتفوا بأن يظهروا الحيرة ، ويظهروا العجز ، وبعضهم ممن كان يدين بالاتجاهات التي انهارت اكتفى بالتعبير عنها بالأسف والندم ولطم الخدود في بعض الأحيان ! وانتهى الأمر عند هذا الحد .

هل نستسلم ؟ هل نقول ! إن هذا العالم أصبحت هناك قوة وحيدة فيه هي المسيطرة ونستسلم لهذه السيطرة ؟ أبدا . أمام أعيننا منذ الآن علامات واضحة على أنه ، هذا المعسكر الواحد الذي يزعم أنه يملك العالم بلا منافس ، عوامل الانهيار موجودة فيه كاملة ، فيه أزمة اقتصادية طاحنة في أمريكا وانجلترا وغيرها من البلاد ، هناك أزمات سياسية لا أول لها ولا آخر ، هناك أزمات اجتماعية – الادمان – الجريمة .. إلخ .. هذه

الأمور تدل على أن المظهر الخارجي الذي يبدو لنا أن هناك قوة أصبحت المسيطرة على عالم اليوم ، ليست مؤهلة أن تكون هي المسيطرة . هذا يحتاج منا إلى إبداع ، هذا يحتاج منا تفكير في الأوضاع الجديدة في هذا العالم ، ولكننا للأسف نفتقر إلى هذا .

البديل الإسلامي السياسي وافتقاده إلى التفكير الإبداعي

كما تعلمون ، هناك في مجتمعاتنا بديل إسلامي سياسي - ودائما أقول إسلامي سياسي - ولا أقول إسلامي فقط - لأننا جميعا إسلاميون ، تربينا في ظل الإسلام ، وآباؤنا وأجدادنا إسلاميون ، وعلى ذلك لا أحب أن أقصر صفة «الإسلامي» على فريق بعينه ، وإنني أقول إن هناك بديلا إسلاميا سياسيا ، يطرح علينا ، هذا البديل يدعو إلى التغيير ، وهو يكتسب كل يوم شعبية متزايدة ، لأن الناس بالفعل تريد التغيير . ولكن التغيير هو نقطة البداية . أصعب الأمور هو ما يأتي بعد التغيير، فأين هذا الاجتهاد الذي نتوقعه من الذين يدعون إلى هذا التغيير [1] ؟ أين التفكير الاسلامي الابداعي الذي يجعلنا مطمئنين إلى أننا حين يحدث سوف نتمكن من معايشة عالم رهيب ، بعض عناصره تصل إلى درجة التوحش ؟ تجرى أمامنا بسرعة، ويتقدم في مجالات علمية وتكنولوجية ، وكل يوم في موقع مختلف ، والمنافسة فيه حامية ، ولا مكان فيه للضعيف . عالم تظهر فيه قوى جديدة ، مثلا في آسيا ، حتى من البلاد التي كانت متخلفة تخلفا كبيرا حتى عهد قريب . وقوى أيضا ستدخل ساحة المنافسة تجد لنفسها مجالا في هذا الجديد الذي هو أشبه بحلبة المصارعة . أين الاجتهاد الإسلامي الذي يضمن أننا سوف نجد لأنفسنا مكانا في هذا العالم ؟ وسوف نعرف

(١) يطالب بالاجتهاد في فروع الشريعة من آمن ابتداء بمرجعية هذه الشريعة ، أما من بنى مشروعه الفكري على الكفر بمرجعية الشريعة في علاقة الدين بالدولة فلا تعدو مثل هذه المطالبة منه أن تكون لونا من المناوره وإضاعة الوقت .

كيف نتحدث مع هذا العالم بلغته ؟ إذا لم نتحدث بلغته فسوف يجرفنا التيار بلا شك . هنا أيضا توجد أزمة إبداع ، وهذه الأزمة لا بد أن نسعى جميعا إلى تجاوزها .

ليس في تكوين العقل العربي مايمنعه من الإبداع

إذن في كلا الطرفين أزمة الإبداع واضحة . لكن وهذه هي الكلمة الأخيرة ، حين نتحدث عن أزمة الإبداع فهل نقصد بذلك أن هناك شيئا في تكوين العقل العربي يجعله عاجزا عن الإبداع ؟ هل نحن في فطرتنا كذلك ؟ بالطبع لا . وكلكم تعرفون الشخصيات العربية التي عندما انتقلت من بيئتنا إلى بيئات أخرى تشجع على الفكر والعلم وغيره ، تألقت وأصبحت شخصيات معروفة عالميا . إذن ليس في داخلنا شيء يمنعنا من الإبداع ، نحن قادرون - شأننا شأن غيرنا - قادرون على الإبداع ، ولكن هناك عوائق أساسية تمنعنا عن هذا الإبداع .

أزمة الإبداع سببها أزمة الديموقراطية

واسمحوا لي أن أحدد هذه العوائق فقط ، لأنه كل إبداع مرتبط بالممارسة ، والممارسة مرتبطة بالحرية ، والحرية مرتبطة بالديموقراطية ، وعندما نصل إلى موضوع الديموقراطية فنحن نصل بطبيعة الحال إلى جوهر هذه المحاضرة ، قمة هذه المحاضرة وإلى نقطتها العليا . هذا شرط لاغناء عنه لكي يكون هناك إبداع ، ولكن إذا ربطنا الإبداع بالديموقراطية ، وقلنا إن أزمة الإبداع هي أزمة العقل ، وأزمة العقل هي أزمة إبداع ، وأزمة الإبداع سببها أزمة الديموقراطية ، هذا يبدو أنه ليس كلاما جديدا . أظن أن معظم الندوات العربية التي تتناول الموضوعات الفكرية من هذا النوع ينتهي بها الأمر، بشكل أو بآخر ، إلى موضوع الديموقراطية .

ليست الأنظمة العربية وحدها هي التي تقف في وجه الديموقراطية

ربما كان الجديد في موضوع الديموقراطية هو أن العقبات أو المعوقات التي تقف

في وجه الديموقراطية هي في عالمنا العربى الآن ليست فقط من ذلك النوع الذي اعتدنا الحديث عنه طويلا ، يعني ليست الأنظمة العربية وحدها هي التي تقف عائقا في وجه الديموقراطية ، طبعا هواية الأنظمة في معاكسة الديموقراطية مستمرة ، يعني لا أريد أن يفهم من كلامي أنني أقول نتمحك في هذا الموضوع ، لكن الشيء الجديد على المسرح العربي الآن ، هو أن الديموقراطية تحارب على المستوى الشعبي أيضا . يعني هناك فئات واسعة من الشعب تحارب الديموقراطية ، وتكره الديموقراطية ، وتسعى إلى وأد الاتجاهات الديموقراطية ، لأنها تتصور أن حقيقتها هي وحدها الصحيحة ، وكل ما عداها باطل بطلانا كاملا . فهذا وضع جديد ، لا أظن أنه موجود في كافة مجتمعات البشر الأخرى (١) .

---

(١) هذا تنويع في الإخراج للدسيسة العلمانية السابقة :

من ادعى امتلاك المطلق فهو عدو للديموقراطية ، والتيار الإسلامي يدعي ذلك فهو إذن عدو للديموقراطية ويسعى إلى وأدها !!

ومرة أخرى نؤكد على أن هذا خلط بين المحكم وبين المتشابه ، فالأصول الثابته بالكتاب والسنة والإجماع هي وحدها التي تمثل هذا المطلق وهي التي يجب أن تكون الإطار المرجعي للتعددية المنشودة في دولة لا تزال تعلن أن دينها الرسمي هو الإسلام .

وفي إطار هذه الأصول فإن أبواب التعددية مفتوحه على مصراعيها ومجالات الحرية أرحب مما بين السماء والأرض ! ومن صادر على غيره داخل هذا الإطار أو سعى إلى إلغائه فهو مراغم للمنهج الإسلامي ، والأمة كلها علماء وعامة له ولمسلكه هذا بالمرصاد !

هذا وإن التعددية المطلقة لا وجود لها في واقعنا المعاصر فما من أمه من الأمم وما من حضارة من الحضارات إلا وتضع إطاراً مرجعيا للتعددية وإن ادعى ساستهم ومنظروهم خلاف ذلك .

وقد نص الدستور المصري في تعديله الأخير على سبيل المثال على قيام النظام السياسي المصري على أساس تعدد الأحزاب في إطار المقومات والمبادئ الأساسية للمجتمع المصري .

وإذا كان الحديث عن مجرد التسامح وعدم إلغاء الآخرين فإن الأمر أهون من ذلك فإن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي من اليهود والنصارى وسائر المشركين لهم حق الوجود في المجتمع الإسلامي وصيانة حرماتهم ومقدساتهم في إطار ماعرف بالمنهج الإسلامي بعقد الذمة وهو يحمل لهم من الحقوق ما تضيق بمثله أرحب الديموقراطيات في عالمنا المعاصر .

عادة الذي يناويء الديموقراطية هو النظام الموجود الآن ، عندما أضيف عامل جديد ، وهو أننا منقسمون على أنفسنا في هذا الموضوع . وطبعا لا داعي للإطالة في الحديث عن الديموقراطية ، ما أقصد شكلا من الديموقراطية ، يعنى ديمقراطية غربية أو غيرها . مجرد وجود الحرية المكفولة للجميع . مجرد أن نتسامح مع بعضنا البعض ، ونقبل فكر بعضنا البعض ، هذا هو الحد الأدنى المطلوب ، ولكن ذلك الحد الأدنى مع الأسف غير متوافر في كثير من الأحيان في عالمنا المعاصر .

إذن أريد أن أختم كلمتي هذه وأنا ولله الحمد ملتزم بالموعد والوقت تماما — يمكن أن أختمها بالقول إننا بالفعل نعاني من أزمة إبداع فى كافة التيارات السائدة في مجتمعنا ، ولكي يعود الإبداع إلى الازدهار من جديد ، لا بد أن يتوافر لدينا القدرة على أن نستمع بعضنا لبعض ، نفهم وجهة نظر بعضنا البعض ، وهذا يؤدي إلى تصحيح الكثير من أخطائنا ، أو على الأقل التفاهم يصبح أوضح وأسهل ، وكل تفاهم بين فئات المجتمع المختلفة يساعد على نهوض هذا المجتمع .

لعلني بذلك تحدثت عن الحد الأدنى ، ولكن حتى هذا الحد الأدنى نحن نفتقر إليه ، وأرجو أن نراجع أنفسنا مراجعة عميقة في هذا الميدان إلى قدرتنا على الإبداع ، ونجد لأنفسنا مكانا في عالم الغد . وشكرا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذ فؤاد زكريا على هذا الشرح الطويل الجميل .. والآن نصل إلى حوار الدكتور محمد عمارة . فليتفضل .

كلمة الدكتور محمد عمارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سائر أنبياء الله من لدن آدم إلى خاتم المرسلين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أيها الإخوة والأخوات ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

في بداية حديثي ، اسمحوا لي أن أعبر عن سعادتي بوجودي بينكم هذه الليلة على قطعة عزيزة من أرض وطننا العربي وأمتنا الإسلامية .

موضوع هذا الحوار ، أو المناظرة : عن «أزمة العقل العربي» . وكما صنع الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا ، سأمر سريعا على مضامين المصطلحات الثلاثة لعنوان هذه المناظرة باختصار شديد :

إطلالة سريعة على المصطلحات الثلاثة

«الأزمة» : هى الشدة والضيق ، التى تعطل القدرات .

«العقل» : ليس عضوا ماديا ، وإنما هو ملكة وهبها الله الإنسان .

ومفهومي لمصطلح «العربى» : ليس مفهوما عنصريا ولا عرقيا ، وإنما هو مفهوم لغوي وثقافي وحضاري ، تحدده اللغة العربية وبما أن العربية هي لسان الإسلام ، فإن التشابك والوحدة قائمة بين ما نسميه «العقل العربي» و « العقل الاسلامي» ، فبعد حديثي سيتناول الأمة الإسلامية ، باعتبار الأمة العربية هي القيادة والريادة والقلب لأمة الإسلام .

هل هناك عقل عربي وعقل غير عربي ؟

أسأل : هل هناك «عقل عربي» وعقل غير عربي ؟

نعم . . ولا - في ذات الوقت ! - فالذي يحدد إطار العقل هو « موضوع التعقل » . ففي العلوم المادية ، في العلوم الطبيعية ، في العلوم المحايدة ، لا تتغاير الحقائق بتغاير المتعقل لها والناظر فيها ، هنا فكر إنساني ، ومشترك إنساني عام .

أما في العلوم الإنسانية ، في فلسفاتنا ، في تصوراتنا للكون ، في كل ما يهذب النفس الإنسانية ، هنا تتغاير الرؤى والفلسفات والحضارات والمواريث والثقافات . فبهذا المعنى ، وهذا الإطار يكون هناك « عقل عربي إسلامي » و «عقل ملحد» و «عقل بوذي» و «عقل مسيحي» و « عقل يهودي» .. وهناك تعدد في الحضارات والثقافات .

هل عقلنا العربي في أزمة ؟!

سؤال ثان : هل ، فعلا ، عقلنا العربي في أزمة ؟

أنا أقول : نعم . والشاهد على ذلك المقارنة بين إمكانات هذه الأمة وبين واقع الحال لهذه الأمة . العرب ربع مليار من البشر والمسلمون مليار وربع المليار .. يمتلكون وطنا يمتد من «غانه» إلى «فرغانه» غربا وشرقا ، ومن حوض نهر الفولجا في الشمال إلى جنوب خط الاستواء .. ربع البشرية ، أو خمس البشرية هذه هي أمة الإسلام . ومع ذلك تعرفون حالها !

هذا الوطن يمتلك من الإمكانات المادية ما يجعله :

الأول في البترول .. وفي الغاز الطبيعي .. وفي المنجنيز ..وفي الكروم .. وفي القصدير .

والثاني في النحاس .. وفي الفوسفات .

والثالث في : الحديد .

والخامس في : الرصاص .

والسادس في : الفحم .

ويمتلك أطول أنهار الدنيا .. ويمتلك أقدم فلاح علم البشرية فن الزراعة .. ويمتلك في بلد واحد ، كالسودان ، مئات الملايين من الأفدنة الصالحة للزراعة .. ويمتلك أكبر العوائد النقدية .. ومع ذلك ، يتسول غذاءه على موائد اللئام ؟!

هذا شاهد على أننا نعيش في أزمة تخطيط وتدبير ، أي أزمة العقل العربي .

هذه الأمة تمتلك لغة ظلت لغة العلم لعدة قرون ، ومع ذلك تدرس العلوم باللغة الأجنبية ، على حين ، حتى العبرية ، لغة شذاذ الآفاق التي ماتت واندثرت ، تدرس بها العلوم جميعا في جامعات إسرائيل ! هذه الأمة تمتلك حضارة وتراثا جعلتها العالم الأول على هذا الكوكب لأكثر من عشرة قرون ، وهي اليوم العالم الثالث بل والرابع ، بل والخامس !

إذن ، المقارنة بين إمكانات هذه الأمة ، وبين واقع هذه الأمة شاهد حي ، بل وصارخ ، على أن عقلنا يعيش في أزمة .

تعدد العقول العربية بتعدد المرجعيات الفكرية وتفاوت مستوى الأزمة بينها

لكنني أسأل : هل هذا العقل العربي المأزوم واحد ؟ .. وهل الأزمة فيه في مستوى واحد ؟ .. أم أننا بإزاء أكثر من عقل عربي ؟ ويتفاوت مستوى الأزمة لدى كل نوع من هذه الأنواع ؟

من منا يستطيع أن يقول إن مستوى أزمة «العقل القومي العربي» تساوي مستوى أزمة «العقل الماركسي العربي» ؟ أو أنهما ، في مستوى الأزمة ، يضاهئان أو يشابهان مستوى الأزمة لدى «العقل الاسلامي العربي» ؟

كلنا نعلم ما حدث للعقل العربي القومي منذ سنة ١٩٦٧ م .. وما حدث للعقل الماركسي العربي بعد هذا التراجع والانهيار بل السقوط من حالق ! الذى حدث لهذه المنظومة التي عاشت فكرا سبعين عاما ، وتطبيقا سبعين عاما ، ثم دفنت كما لم تدفن منظومة فكرية أو تطبيقات لهذه المنظومات الفكرية في تاريخ الإنسانية على الإطلاق

إذن ، العقل الإسلامى الآن فيه أزمة ، وأنا أحد كتبي الأخيرة عنوانه (أزمة الفكر الاسلامي المعاصر) .. لكننا ، حقيقة ، لا نستطيع أن نقول إن هذا الانهيار الذي حدث للعقل الماركسي العربي أو هذا الانحدار الذي أصيب به العقل القومي العربي .. إن هذا يشابه ما في العقل الإسلامي من قصور ومن ثغرات نطلب لها أن تعالج وأن تتطور .

إذن ، أقول : نحن لا نملك عقلا عربيا واحدا ، بل عقول ، تختلف باختلاف الأنساق الفكرية والمرجعيات الفكرية التي يحتكم إليها هذا العقل العربي .. ومستوى الأزمة ليس متساويا لدى هذه العقول .

ننتقل إلى الحديث عن هذه الأزمة .

أسباب الأزمة

هذه الأزمة ليست طارئة ، وليست جديدة ، وليست بنت العقود الأخيرة التي نعيشها .

هناك سببان أساسيان للأزمة – بالطبع هذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها إلا بعديد من الأسباب – لكن هناك سببان أساسيان يتحكمان في هذه الأزمة :

التخلف الموروث عن عصور التراجع الحضاري

الأول : - من حيث الوجود التاريخي - هو ذلك التخلف الموروث في حضارتنا عن عصور التراجع الحضاري ، التي حكم فيها العسكر المماليك والعثمانيون .

بالطبع أنا لا أدين المماليك أو العثمانيين .. فالمماليك هم فرسان الاسلام الذين حموا وجود الأمة ، لكنهم لم يجددوا في الحضارة . والعثمانيون جددوا شباب العسكرية الإسلامية ، وصنعوا الأمجاد في الفتوحات ، لكنهم لم يجددوا في الحضارة .. وفي طول حكم العسكر ، حدث لدينا تراجع حضارى ، وحدث لدينا تقليد وجمود .. وهذا سبب من أسباب الأزمة .

بمعنى أنه لدينا فريق من الناس يقلد ولا يبدع ، يتبع ولا يجدد .. نمطي يقف أمام ظواهر النصوص ، ولا يرى ما وراء ظواهر النصوص . هذا لون من ألوان الأمراض ، وسبب من أسباب أزمة العقل العربي . وهو أن لدينا فريقا من الناس يقلد ولا يجدد ، ونموذجه ليس سلفنا الصالح ، ليس سلف عصر الإحياء والتجديد والإبداع والإزدهار ، وإنما عصر تراجعنا الحضاري على وجه التحديد ! .

التغريب والاستلاب الحضاري

السبب الثانى لهذه الأزمة : وهو السبب الأكبر والأفعل والأقوى - هو هذا الوافد الغربي الضار .. هذه الهيمنة الغربية التي جاءتنا مع الغزوة الاستعمارية الحديثة . عندما لم يحتل الغرب فقط الأرض وينهب الثروة ويقيم القواعد العسكرية ليجعلنا هامشا اقتصاديا وسياسيا وأمنيا لمركزه الغربي ، وإنما - لأجل تأبيد هذه التبعية - احتل العقل أيضا ، حتى تكون التبعية خيارنا نحن ، وحتى يتحول الغرب إلى «القبلة» التي نتوجه إليها في أمور حياتنا .

وأنا أريد أن أحدثكم عن العلاقة بين هذين السببين ..

لا تتصوروا أن هناك صراعا بين «التغرب .. والاستلاب الحضاري .. والتبعية للغرب» وبين «الجمود والتقليد» على ما كان عليه سلف عصر التراجع الحضاري ؟ بل أقول : إن «التغريب» هو أول مشجع لوجود هذا «الجمود» وهذا «التقليد» !

كلنا يعلم كيف حافظت السلطة الاستعمارية على المؤسسات التقليدية التي كانت تشيع الخرافة وتشيع الشعوذة في بلادنا ، بينما كانت هذه السلطة تحارب التجديد وتيارات الإحياء ؟!

لقد قال لي ، مرة ، الدكتور لويس عوض : « يا دكتور ! شغلك مهم ، لكنه خطير ؟!»

فقلت له : « لماذا ، يا دكتور ؟! .. فقال : « لأنك تجدد الدين .. فتحييه .. لكنه بشكله التقليدى سيموت ، ونتخلص منه ! ؟» .. ثم أضاف : « ومحاولات التجديد هذه كان يحاولها حسن البنا » ؟! - هذه كلمات لويس عوض !- ..

إذن ، «التغريب» و «الاستلاب الحضاري» والتبعية للغرب تريد هذا الجمود وهذا التقليد ، لأنه عاجز عن تقديم البديل للنموذج الغربي ، وعجزه هذا يجعل المنطقة منطقة فراغ ، فيملؤها هذا «التغريب» .

إذن ، أقول : إن هناك مسئولية لتيار التغريب والاستلاب الحضارى - التيار الذي يبشر بالنموذج الغربي - والذي يدير ظهره لأصالتنا وحضارتنا -هناك مسئولية له عن هذا الجمود والتقليد ! ..

لم يكن الإسلام موضع اعتراض من المتغربين عندما كان مجرد شعائر

وأقول لكم : لم يكن الإسلام موضع اعتراض من المتغربين ، عندما كان يتحدث

في شئون الآخرة وحدها ، وعندما كان خطيب المسجد يتحدث عن السماء وكأنه خبير في جغرافيتها ، بينما هو يجهل جغرافية الحي الذي يعيش فيه ! وعندما كان الإسلام مجرد شعائر ! حتى الغلو في هذه الشعائر لم يكن موضع اعتراض ! .. حدث الاعتراض من المتغربين على الإسلام ، عندما أصبح هذا الإسلام دينا ودنيا ، دولة وشريعة وعقيدة .. وعندما تحدث الناس بالإسلام عن شئون الحكم .. عن الشورى .. عن الأموال .. والعلاقات الدولية إلخ ..

إذن ، عندما أصبح الإسلام يقدم بديلا للتغريب والإستلاب الحضاري .. هنا أصبح الإسلام مكروها ؟! وهنا رأينا من الذين لم يكونوا يعترضون على التدين الشكلي .. التدين المنقوص .. رأينا منهم حربا شعواء على تكامل الإسلام ، وعلى هذا البديل الذي يقدم للنموذج الغربي !

إذن ، التخلف والجمود والتقليد وكذلك الهيمنة الغربية والوافد الضار والاستلاب الحضاري – وبينهما هذه العلاقة ، التي أشرت إليها – هما أهم أسباب أزمة العقل العربي الإسلامي .

* * *

مظاهر الأزمة .. ونتائجها

سأنتقل إلى مظاهر هذه الأزمة .. ونتائج هذه الأزمة ..

الانقسام في المرجعية الأصول

أول مظاهر هذه الأزمة : ذلك الانقسام الحادث في عقل هذه الأمة بين الذين جعلوا سلفهم الفكر الغربي – وأنا أقول لكم : إن المتغربين والعالمانيين سلفيون حتى

التخاع ؟! أنا سلفي . ورأيي أن كل إنسان لا بد وأن يكون سلفيا ، بمعنى أن يكون له سلف وماضي – لكن القضية : من هم سلفك ؟ وكيف تتعامل مع هذا السلف ؟ تهاجر إليهم ؟! أم تسترشد بالثوابت من فكرهم ؟

فأنا لا أعيب مصطلح «السلفية» .. ولكن أقول : إنه مصطلح مظلوم في واقعنا .

لكني أقول : إن الذين يريدون حل مشاكلنا بالنموذج الحضاري الغربي هم سلفيون ، لكن سلفهم هو الغرب ! فنحن لدينا سلفية تهاجر من «الزمان» فتعود إلى الماضي ، وسلفية تهاجر من « المكان» ، فتصبح قبلتها هي الغرب ، وتصبح مذاهب الغرب هي مرجعيتها – ليس فقط مذاهب الغرب ، بل إننا نرى أناسا يبشرون حتى «بالأمراض الفكرية» للغرب ؟! .. تجد الحديث عن مذاهب الوجودية وغيرها .. وكل النظريات ، حتى التي تسقط في الغرب ، يتحدثون عنها باعتبارها هي النماذج !. . فأقول : إنها السلفية النصوصية ، التي تقف أمام النصوص ، وظواهر النصوص .. لكن سلفها هو الغرب .

هذا الانقسام الحادث في عقل الأمة ، هو الذي يحرم الأمة من الإجتماع على مرجعية واحدة للنهضة الحضارية . وأخطر ما في هذا الانقسام أنه ليس مجرد تعددية .. فالتعددية المشروعة هي التعددية في «الفروع» ، لكن لا بد من وحدة المرجعية ، لا بد من مساحة للأرض المشتركة ، تحياها الأمة وتنطلق منها ، ثم تتعدد في الفروع .. فلا تعددية في «الأصول» ، وإنما التعددية في «الفروع» هذا الانقسام ليس تعددية صحية .

وأخطر من هذا ، أن عملية «شد الحبل» بين الذين يرجعون بمرجعيتهم إلى الإسلام وبين الذين قبلتهم الحضارة الغربية نتيجتها لا غالب ولا مغلوب في هذا الصراع بين الفريقين ؟!

صحيح أن «الشارع» أغلبه إسلامي ، لكن العلمانيين – وهم قلة بالنسبة إلى

الإسلاميين - إلا أنهم في يدهم السلطات والمؤسسات .. ومن هنا ، إذا كان هناك تعادل بين الفريقين في هذا الصراع .. في «شد الحبل» .. فمحصلة هذا الصراع : «صفر» ؟! .. لا غالب ولا مغلوب ! .. ومن هذا نري عجز الفريقين عن أن يحقق أي منهما مشروعه في أرض الواقع .. وإنما بأسنا بيننا شديد ، على عكس ما أراد الله لنا ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [الفتح: ٢٩] .. هذا الانقسام جعل بأسنا بيننا شديدا ، وجعلنا رحماء على أعدائنا !.

ظاهرة التكفير المتبادل

وهذا الانقسام في المرجعية والأصول يجعلنا نري ظاهرة «التكفير المتبادل» .. فالذين يُكفِّرون ليسوا فقط الإسلاميين . لأنك إذا نفيت تيارا من أن يكون له حق في المشروعية والشرعية ، فهذه هي قمة «التكفير» .. وعندما تأتي «بديموقراطية» الاستثناء ، فتستثني منها أغلبية الأمة ، والتيار الإسلامي ، فهذه هي قمة «التكفير» !! حتى الذين عاشوا عمرهم يتحدثون عن الليبرالية والديموقراطية ، شاهدنا سقوطهم في تجربة الجزائر ؟! .. شاهدنا سقوطهم في تجربة تونس ؟! .. لا يتحدثون عن «العسكر» إلا إذا كان هذا العسكر إسلاميا ؟! .. لم يكتشفوا أن «جعفر نميري» عسكري عندما كان «يرطن» بالماركسية ، ويتحالف مع الشيوعيين .لم يكتشفوا أنه عسكري إلا عندما تحدث عن الإسلام والشريعة الإسلامية ؟! .. يتحدثون عن «عمر البشير» وكأنه العسكري الوحيد في النظم العربية ؟!..

أقول : إن هذا سقوط في معيار الليبراليين ومعيار الديمقراطيين عندما يتحدثون عن ديمقراطية الاستثناءات ، ويريدون أن يستثنوا لا قلة من الناس ، بل يستثنون أغلبية الناس ؟! ..

بل المدهش اليوم حديث الماركسيين عن الليبرالية ، وهم أعداؤها التقليديون !.. بل ويتحدثون عن الوطنية ، وهم الذين طفحت أدبياتهم على مر تاريخنا بهذا الموقف الذي جعلوه مبدأ ، وقالوا عنه : «إن معيار الوطنية هو الموقف من الاتحاد السوفيتي ؟!..» فإذا كنت ضد الاتحاد السوفيتي فأنت لست وطنيا ؟! وإذا كنت مع الاتحاد السوفيتي فأنت وطني ؟! .. الآن يتحدثون عن الوطنية . ويطالبون بجبهة وطنية متحدة لمواجهة الإسلاميين ؟! أين كانوا من مفهوم الوطنية ؟! وأين كانوا من مفهوم الليبرالية ؟! ..

ليسوا سواءً !!

وأنا أقول لكم ! إن هذا لون من ألوان الأزمة ، لأنه يخلط الأوراق في الواقع الذي نعيش فيه . لكنني أسأل سؤالا : هل معني أن سببا الأزمة هما : الجمود .. والاستلاب الحضاري .. أنهما في الحجم ، سواء ؟؟ .. ومن ثم فالمسئولية عليهما سواء ؟؟ ..

شريحة الجمود قله في الإسلاميين وأهل الاستلاب الحضاري هم أغلبية العالمانيين

أنا أقول : لا .. فأهل الجمود في الجانب الإسلامي قلة من الإسلاميين – لقد كنت أناقش أحد الإخوة من الشيعة .. فقلت له : إنكم ٨٠ مليون شيعي .. والوهابيون ٢ مليون – بل والحنابلة – لا يتجاوزون خمسة ملايين – بينما المسلمون مليار وربع المليار .. فلماذا تحولون الوهابية إلى المشكلة التي تريدون أن تشغلونا بها ؟!..(*)

أنا أقول : إن شريحة الجمود والتقليد هي قلة في الإسلاميين .. بينما الجسم الأكبر في العقل الإسلامي هو التيار الوسطى المعتدل .. التيار العقلاني .. التيار

(*) في إطلاق القول بنسبة الوهابية إلى الجمود خطأ ظاهر ، فالوهابية حركة من حركات الإحياء والتجديد الشامل داخل إطار أهل السنة والجماعة ، وبصماتها في حرب الشرك والخرافة وتجديد ما اندثر من شعائر الإسلام وشرائعه لا يخفى على أحد . وإن كان هذا لا يعني بطبيعة الحال تعصيم الحركة الوهابية في كل ما تأتي أو تذر من قول أو عمل فإن رجالها بشر من البشر يخطئون ويصيبون وكل الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

المستنير ، الذي يقدم الإسلام – بقدر إمكاناته واجتهاداته – على نحو معتدل ومقبول.. بينما أهل الإستلاب الحضاري والتغريب هم أغلبية العالمانيين .. يعنى على حين أن الجمود لا يستولى إلا على قلة من الإسلاميين ، فإن الاستلاب الحضاري والتغريب والتبعية الحضارية صفة أغلبية العالمانيين ..

بالطبع أنا لا أريد أن أعمم ، لأن في العالمانيين فئات قومية ووطنية ، ندعو للحوار معها ، لأنها جزء من عقل الأمة ، ولا بد أن يتوحد هذا العقل على المرجعية والأصول ، مع الاختلاف في الفروع كما يشاء المختلفون .

إذن ، نحن أمام «عقول» ولسنا أمام «عقل» واحد .. بل أكاد أقول أمام «أمم» ، وليست «أمة» واحدة ؟!

أزمة الفوضى !

وسأضرب لكم بعض الأمثلة على هذه الفوضى في استعمال المصطلحات .. يعنى : فوضى الأزمة .. وأزمة الفوضى ! .. وسأقف عند بعض المصطلحات الفكرية المتداولة لنكتشف قمة الأزمة التي نعيش فيها :

الحرية :

حرية الإباحية والشذوذ والخروج على الأعراف

كثيرون يتحدثون عن الحرية بمعنى الإباحية . فيقبلون – بمعايير الحرية – حتى الشذوذ والخروج على الأعراف ، عملا بمبدأ الحرية والإباحية .. وفي نفس الوقت يحرمون الحرية على التيار الإسلامي إذا التزم ببعض القيم الإسلامية ؟! .

لم أقرأ لعالمانى نقدا واحدا للعرى ولا للشذوذ ولا لأندية الرقص والتحلل الخلقي الذي يعيش في كثير من بلادنا . لكنهم أجمعوا على العداء لحرية المرأة في أن تستر

عوراتها ، أو أن تحتشم بالحشمة الشرقية ؟! .

إذن فهذا لون من المقاييس المختلة في استعمال كلمة حرية ومصطلح الحرية .

الديموقراطية :

يدعوننا إلى الإجتهاد في الدين ويحرمون علينا الاجتهاد في الديموقراطية !!

وفي الحديث عن الديموقراطية .. يدعوننا إلى الإجتهاد في «الدين» ، ويحرمون علينا الاجتهاد في «الديموقراطية» ؟! .. إذ قلنا نحن مع الديموقراطية بشرط أن لا تحل حراما أو تحرم حلالا ، فأضفنا إضافة إلى الديموقراطية .. قبلنا مؤسساتها وآلياتها ومقاصدها ، لكننا ضبطناها بالشورى الإسلامية ، يحرمون ذلك علينا ، ويقولون إن هناك تيار شعبي ضد الديموقراطية !.. أنت تطلب الاجتهاد في «الدين» وتحرم الاجتهاد في «الفكر الغربي» في «الديموقراطية» ؟! .. إذا ضبطت الديموقراطية ، وقلت : نعم ، السلطة للأمة ، ولكن السيادة في التشريع لله تعالى ، والحكم له ، وأن الأمة مصدر السلطات ، بشريطة ألا تحل حراما ولا تحرم حلالا – فهذا هو الفارق الوحيد بين الشورى الإسلامية والديموقراطية – إذا قلنا هذا الضابط أو هذا الفارق يحرمون علينا الإجتهاد في الديموقراطية ، ويعيبون علينا أننا لا نفتح باب الإجتهاد في الدين لكل من أراد ، عالما كان أو غير عالم !

مصطلح العقلانية :

عقلانية الغزو الفكري والإستلاب الحضاري

ليس هناك دين على ظهر هذا الكوكب يجعل معرفة الله طريقها العقل سوى الإسلام ، بل إن الإسلام يقدم العقل على النقل ، لا تقديم تشريف بل تقديم ترتيب ؟! .. لأنك لن تفهم النقل إلا بالعقل .. أنت إذا خرجت من منزلك لتصلي

في المسجد ، فلا بد أن تمر بالشارع قبل المسجد .. ليس معنى ذلك أن الشارع أفضل من المسجد ! لكن التقديم تقديم ترتيب ، لا تشريف ولا تفضيل .

هل هناك في الدنيا دين يحتكم إلى العقل ؛ ويجعل العقل أعلى مراتب التكليف كالإسلام ؟!

لكنهم يريدون لنا «عقلانية الغرب» و «اليونان» ، التي تبلورت في بيئة لا وحي فيها ، والتي لا تحتكم إلا إلى العقل فقط ! نقول لهم : العقل هداية من الله للإنسان ، لكنه ليس الهداية الوحيدة .. هناك : هداية الحواس والمشاعر الخمس .. هناك : هداية الوجدان .. هناك : هداية الوحي ، التي تنبئنا عن عالم الغيب ، التي لا يستطيع العقل الإنساني – بصفته ملكة للإنسان ، نسبي العلم ، الغير محيط بالعلم – أن يستقل بإدراكها .. هناك أربع هدايات .. لا اثنتان فقط ! .. الوحي .. والعقل .. والحواس .. والوجدان .

نحن لا ننتقص من العقل ، لكننا نضيف إليه .. ومن هنا نقدم العقلانية الإسلامية .

أما هم ، فعندما يتحدثون عن العقلانية ، فإنهم يتحدثون عن عقلانية الغرب واليونان والفكر الوضعي ، الذي لا يرى علما ولا حقيقة ، إلا ما يلمس بالحواس ! نقول لهم : هذه عقلانية الغزو الفكري والاستلاب الحضارى .. ونحن مع العقلانية الإسلامية ، التي عندما حكمت كانت لنا السيادة على الدنيا بأجمعها ، يتوازن فيها كتاب «الوحي– المقروء» وكتاب «الكون – المنظور» ، فقامت ثقافتنا وحضارتنا على ساقين ، لا على ساق واحدة ، كحال الحضارة الغربية التي يبشرون بها .. تلك التي تقوم على ساق المادة وحدها ، حتى لقد رأينا ونرى في مجتمعات بلغت القمة في التقدم المادي ، وبلغت القمة في التحلل والانحدار الخلقي والروحي .. بلد مثل

السويد: أعلى مستوى معيشة في العالم وأعلى نسبة القلق والانتحار في العالم ؟! وقس على ذلك الكثير من البيئات والمجتمعات الغربية .

نحن لسنا ضد العقلانية .. لكن الأزمة الفكرية تشوه وتشيع الفوضى في هذه المصطلحات التي نتداولها .

التنوير :

عبادة العقل والهجوم على الدين !

يتحدثون كثيراً عن التنوير .. هل الإسلام ضد التنوير ؟

إن الله ، سبحانه وتعالى ، حين يتحدث عن القرآن ، يعلمنا أنه « نور » : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا** ﴾ [التغابن : ٨] .. إذن ، القرآن نور .. وكل مسلم حقيقي لا بد أن يستنير بنور القرآن ، والرسول ﷺ « نور » ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ﴾ [المائدة : ١٥] ..

إن التنوير الذي يتحدثون عنه ، هو التنوير بالمعنى الغربي : أي عصر وفترة عبادة العقل والهجوم على الدين !

وشاهدنا على ذلك آخر ما صنعوه عندنا ، في القاهرة ، في الاحتفال بمئوية دار الهلال .. لقد عرضوا التنوير في مسرحية ، أو «أوبريت» – في دار الأوبرا – فأتوا بالدكتور طه حسين « في الشعر الجاهلي» – الذي شكك فيه في القرآن الكريم .. في قصة إبراهيم وإسماعيل وإقامة قواعد البيت .. وفي الرحلة الحجازية لإبراهيم – مع أن طه حسين قد حذف الـ ٢٨ سطرا التي كتب فيها هذا التشكيك ، ونشر الكتاب بعنوان آخر – « في الأدب الجاهلي » – .. لكن طه حسين – في عرفهم – عندما تراجع ليس من التنوير ! .. ولكن عندما شكك في القرآن الكريم ، فهذا هو

التنوير ؟

النموذج الثاني من «التنوير» - عندهم - «علي عبد الرازق» عندما أنكر أن محمدا ﷺ قد أقام دولة ، وأن في الإسلام سياسة ، وعندما كتب وقال : « يا بعد ما بين الدين والسياسة» .. هذا هو علي عبد الرازق التنويري ! .. أما عندما كتب في عدد مايو سنة ١٩٥١ م من مجلة « رسالة الإسلام » يقول : إن كلمة « الإسلام مجرد رسالة روحية» هي كلمة ألقاها الشيطان على لساني ؟! .. فهم لايعتبرونه تنويريا .. بل ولا يذكرون هذا التراجع ؟! . فالتنوير هو موقفه الأول - الذي تراجع عنه - فقط لا غير ؟!

أما الطامة الكبرى ، فكانت عندما جاءوا - في «الأوبريت» - بقاسم أمين .. فنموذج المرأة التي حررها هي التي تتكلم مع الأجنبي ، رغم أنف زوجها .. فلما اعترض الزوج ، جرت خلفه - قائلة : تعال لأضربك «علقة كل يوم» ؟! ..

التنوير - عندهم - في تحرير المرأة : أن تضرب المرأة زوجها «علقة» كل يوم ! .. هذا هو لون التنوير الذى قدموه ويقدمونه في الاحتفال بمئوية - دار الهلال - ومجلة الهلال !..

المشروع الحضاري :

من ذا الذي يضع محمد عبده مع سلامه موسى ؟

يزيفون ويقولون إن المشروع الحضاري تراجع !..

ولعلكم جميعا قرأتم ما يقولون من أن مشروع الأفغاني ومحمد عبده ، تراجع خطوة إلى الوراء على يد رشيد رضا .. ثم تراجع خطوتين على يد حسن البنا .. ثم تراجع كثيرا على يد الجماعات الجديدة !..

لكنني أقول لهم : هذا تزييف في الحديث عن المشروع الحضاري .. أمتنا - في عصرها الحديث - لم تبدأ بمشروع حضاري واحد .وإنما بدأت بمشروعات حضارية متعددة ومتميزة ..

من الذي يضع محمد عبده - الذي يبشر بالنهضة على أساس الإسلام ، ويقول : إن الإسلام هو سبيل الإصلاح - من الذي يضعه مع سلامه موسى- الذي يقول لا بد أن تخرج من آسيا فنلتحق بأوروبا .. ونحن لا نريد العربية : لغة القرآن ، ولكن نريد لغة الديموقراطية والأوتومبيل !.. ويقول : إننى كلما نضجت زاد حبي للغرب وزادت كراهيتى للشرق ! فأنا مؤمن بالغرب ، كافر بالشرق - من الذى يضع محمد عبده ومشروعه الحضارى مع سلامة موسي ولويس عوض ومشروعهما الحضاري ؟!.

إذن ، لدينا مشروع حضارى تبنته الحركة الإسلامية ، والتيار الإسلامى .. وأنا أقول لكم : لقد ناقشت رسالة جامعية - في كلية التربية - جامعة طنطا - عن « التربية السياسية عند الإخوان المسلمين » ، ثابت فيها - من أدبيات الإخوان المسلمين - أن حسن البنا كان يدرس لجماعته أخطر وأهم كتابين لمحمد عبده « رسالة التوحيد » و « الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة » - وفيهما قمة التألق العقلاني عند محمد عبده ؟!

إذن ، مشروع الأفغاني ومحمد عبده لم يتراجع ، وإنما استمر ، في التيار الاسلامي ، يتطور - بالطبع - بتطور الظروف وتطور الملابسات .. وليس لدينا مشروع حضاري واحد .. وإنما مشاريع .. والمشاريع التى بدأت متغربة لا تزال متغربة - والمشروع الذي بدأ إسلاميا ، فيه اجتهادات وتنويعات على الساحة الإسلامية .

رؤية التاريخ :

إنهم يستقون التاريخ من ألف ليلة !

في الكلام عن التاريخ ، ورؤيتهم للتاريخ ..

نحن لدينا في تيار الجمود والتقليد من يرون أن كل تاريخنا هو نموذج مثالي .. وهذا وهم من الأوهام .

لكن العالمانيين يرون تاريخنا – باستثناء فترة عمر بن الخطاب وسنتين لعمر بن عبد العزيز – اعتباره ظلاما دامسا ؟!

نحن لا ننكر أن «الدولة» – في تاريخنا – قد انحرفت ، ومنذ وقت مبكر .. منذ الدولة الأموية .. ولكن حدود «الدولة» لم تكن مثل حدود « دولة » اليوم ، تتدخل في كل شيء .

معاوية سن قانونا وشعارا قال : « لن نمنع الناس ألسنتهم ما خلوا بيننا وبين أمرنا ؟!» – أى : اتركوا لي « الكرسي» واصنعوا ما شئتم ؟! .. كل الأئمة والعلماء بنوا الحضارة .. كل ما تزهو به حضارتنا الإسلامية على الدنيا .. كل ما تتلمذ عليه الغرب وغير العرب ، نشأ في ظل الدولة الأموية المنحرفة والدولة العباسية . إذن نحن لا نقدم صورة وردية لتاريخنا كما أننا لا نهيل التراب على تاريخنا . إذن الأمة هي التي صنعت الحضارة .. والمذاهب .. والتيارات الفكرية .. الفقه .. والحوار .. العلوم المدنية .. والعلوم الحضارية .. والعلوم الشرعية .. حتى الجهاد في سبيل الله – كان صناعة الأمة ! .. ثلاثة أرباع الأرض الزراعية كانت وقفا ، في تاريخنا .. أي أن الأمة هي التي صنعت هذه الحضارة ، والمؤسسات الأهلية هي التي صنعت هذه الحضارة .. فانحراف

الدولة ، في وقت مبكر ، لا يعنى أن تاريخنا كان ظلاما ، وأننا عشنا هذه العصور في ظلام .. وأنا قلت وصفا لهؤلاء الذين يقولون هذا الكلام : إنهم يستقون هذا « التاريخ» من [ألف ليلة وليلة] وليس من كتب التاريخ الحقيقة !

المجتمع المدنى :

خجلوا من كلمة العالمانية فأطلقوا شعار المجتمع المدني !

الآن ، بعض العالمانيين عندما خجلوا من كلمة «العالمانية» ، يطلقون شعار «المجتمع المدني » ! ومن قال إن الإسلام ليس مع «المجتمع المدني» ؟!

الدولة : دولة مدنية .. هل جبريل عندما نزل من السماء ، نزل وعلى يده الدولة ومؤسسات الدولة ؟! هذا صنع البشر ، والقضية هى قضية المرجعية .. هل المرجعية «الفكر الوضعى وحده» ؟ أم الفكر الوضعي الملتزم بالمرجعية الدينية - كتاب الله - ؟ .. وهذه هى نقطة الخلاف .

وأنا أقول : عندما نرجع إلى قواميسنا القديمة - نرجع إلى [التعريفات] للجرجاني - أو [كشاف اصطلاحات الفنون] للتهانوي - نجد أنهم يعرفون «السياسة الشرعية» بـ «السياسة المدنية» ؟! .. هذا الكلام قديم .. فمن الذي يجعل المؤسسات المدنية مقابل النظام الديني والصبغة الإلهية التي يصطبغ بها هذا المجتمع المدني ؟!

هذه أمثلة لخلط الأوراق والمصطلحات .. مجرد أمثلة تشهد على أننا نعيش فوضى لهذه الأزمة ، وأزمة مليئة بهذه الفوضى في هذه المصطلحات ! . وهذا هو الذي يكرس ما قلت عنه إنه انقسام حقيقي في المرجعية وفي المفاهيم .. فنتحدث وكأن الحوار حوار الطرشان ، لأن ما يعنيه هذا بكلمة «المجتمع المدني» غير ما أعنيه أنا .. وهكذا في

«الدولة المدنية» .. و«التنوير» .. إلخ .. إلخ ..

هذا لب وجوهر الأمثلة الشاهدة على وجود هذه الأزمة في العقل العربي والعقل الاسلامي ..

لا تبخسوا الناس أشياءهم

وإذا كنا نشهد الآن صعودا في الفكر الإسلامي والعقل الاسلامي ، فليس صحيحا تساؤل الدكتور فؤاد : «.. وأين الاجتهادات» ؟! .. [لا تبخسوا الناس أشياءهم] !..

جالس هنا الشيخ يوسف القرضاوي .. وهو نموذج من كوكبة من المفكرين الإسلاميين . أنا أزعم أن المكتبة الإسلامية ، في العقود الأخيرة ، فيها من الإبداع الفكري .. ما يكون الكثير من معالم مشروع فكري حضاري شديد الوضوح .. بل ومعالم سياسات محددة في كثير من الأمور .. ثم يتحدثون عن الغموض ؟!

هل نحن ندعوكم إلى غامض أو جديد ؟! .. نحن ندعوكم إلى الإسلام ، الذي جربته الأمة فجعلها العالم الأول ، على امتداد عشرة قرون !.. هل عندما نقول : الاسلام – يقال : هذا غموض ؟! ..

بالطبع ، لا بد أن يكون هناك اجتهاد .. ومزيد من الاجتهاد .. وهناك عشرات من القضايا المستحدثة في واقعنا لا زالت علامات الاستفهام عليها ، وتحتاج إلى مزيد من الاجتهاد .. مطلق العقل لا بد أن يكون مجددا على الدوام ! .. إذن ، نحن مع الاجتهاد ، ونقول : تعالوا إلى أرض الإسلام ، وإلى مرجعية الإسلام وكونوا – إذا امتلكتم أدوات الاجتهاد – من أئمة الاجتهاد في عصرنا ! .. فغلق باب الاجتهاد وهم وخرافة لا يفكر فيه عاقل ! .. لكنني أقول ! إن لدينا اجتهادات ، ولا يجوز أن نبخس

الناس أشياءهم ؟! .. لكن نريد المزيد والمزيد .. وهذه حقيقة .

* * *

الغلو :

القنفذ إذا شككته أظهر شوكه !

ثم أتساءل :- مع هذا النمو في اليقظة الإسلامية - وتيارها الأساسي هو التيار الوسطى المعتدل - لماذا هذا الصعود لتيار الجمود والتقليد والعنف والغضب ؟ .. هذه الشريحة .. وهذا الفصيل من فصائل الحركة الإسلامية .. لماذا هذا الصعود بالنسبة له ؟..

أنا أدعوكم لتأمل دور العوامل الآتية :

١ - الهيمنة الغربية ، بعد المتغيرات الدولية التي حدثت .. لقد كشف الغرب عن أنيابه وأظافره لكل عالم الجنوب . فلا تستغربوا إذا كشف البعض - وخصوصا في سن الشباب - عن الأنياب والأظافر ! .. «القنفذ» إذا «شككته» أظهر شوكه ؟! ..

٢ - اسألوا : لماذا لم يكن «سيد قطب» عنيفا قبل المحنة التي تعرض لها ؟ .. تعلمون دور النظم وقهرها في إيجاد هذا الأسلوب الذي يكفر المجتمع ويحكم عليه بالجاهلية ، ويرى العنف بديلا وحيدا .(*)

(*) رحم الله الأستاذ سيد قطب !

لقد أبعد النجعة فيه فريقان من الناس :

- فريق غلا فى فهم أقواله فحرفها عن مواضعها وتأولها على غير وجهها ورتب عليها من الأحكام والنتائج ما لعله لم يخطر ببال صاحبها طرفة عين . =

٣ – اسألوا عن إغلاق القنوات الشرعية أمام التيار الإسلامي ، تعلموا مسئولية هذا الموقف عن اللجوء إلى القنوات غير الشرعية ..

٤ – اسألوا عن هذا الاستقطاب الحاد الذي يحدث في الموقف الداخلي .. الماركسيون الذين عاشوا طوال عمرهم ضد السلطة ، عندما لم يصبح لهم مشروع استأنستهم النظم الحاكمة ، فأصبحوا مثل « الطواشي والخصيان » في الحريم ، مؤتمنين ، لا خوف منهم ؟! .. ومن هنا ترون رموزهم في كل المجالات وفي كل النظم .. لماذا ؟ لقد أصبحت النظم تستثمر كفاءتهم الفكرية ضد مشروع التغيير الوحيد القائم في الساحة – وأنا أقول : الوحيد – لماذا ؟

هؤلاء يذكروننا بالموقف الدولي – الروس الخارجيين أصبحوا في جيب الأمريكان الخارجيين .. و «الروس» الداخليين أصبحوا في جيب «الأمريكان» الداخليين ؟! .. إذن الموقف الداخلي متسق مع الذي حدث في المتغيرات الدولية !..

* * *

هل هناك ما تختاره غير الإسلام ؟

وأنا أقول : إن المشروع الوحيد القادر على تحريك هذه الأمة لتخرج من أزمتها هو

= – وفريق جفا عن هذه الأقوال فاطرحها جميعا : صوابها وخطأها ونسبها جميعا إلى ظروف القهر والمحنة التى تعرض لها الأستاذ رحمه الله !

والقصد بين هؤلاء إن الأستاذ سيد داعية من دعاة أهل السنة المجاهدين لم ينطلق فى إجتهاداته من أصول بدعية ولم يكن همه فيما يتبناه من الأقوال إجراء الأحكام على آحاد الناس ، وإنما الدعوة إلى حقيقة الإسلام التى تكفل لأصحابها النجاة فى الآخرة ، ولعل من أهم أسباب الخلل فى توجيه مقولاته رحمة الله هو الخلط بين مقام الدعوة ومقام إجراء الأحكام .

ثم هوبعد هذا كله بشر من البشر يخطئ ويصيب ، وكل الناس تؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

أنا أسأل : – حتى بمنطق «الحياد الإيماني» – يعني حتى بالنسبة لغير المؤمن ، الذي يريد لهذه الأمة أن تنهض .. أية أيديولوجية أقدر على تحريك هذه الأمة ؟ .. حتي غير المؤمن بالإسلام ، وبأنه دين ودولة ، وبأنه فريضة إلاهية » أعتقد أنه لا بد أن يدعو إليه كمشروع لنهضة هذه الأمة ».

أنا اليوم ، لو كنت سائحا ، ودخلت «معرضا للأيديولوجيات» ! .. ماذا سأختار ؟ الليبرالية الرأسمالية التي عانينا منها قرنين من الزمان ؟! .. الماركسية التي سقطت ؟! .. هل هناك ما نختاره غير الإسلام ؟!..

عندما تكون الأيديولوجية تؤمن بها الجماهير .. هل تكون أقدر علي التغيير ؟؟ .. أم إذا كانت أيديولوجية قلة وصفوة ونخبة ؟!..

وعندما تكون الأيديولوجية مرتبطة بالمقدس ، تصبح أقدر علي التغيير ، وعلي تحريك الأمة من هذه الوهدة ؟؟ .. أم عندما تكون هذه الأيديولوجية محدودة الصلة – أو متعارضة – مع هذا المقدس ؟!.

عندما تكون هذه الأيديولوجية تمتلك تراثا حضاريا وفكريا هائلا وغنيا .. تكون أقدر علي التغيير ؟؟ .. أم عندما تكون مستوردة ، وأصحابها يُنظر إليهم علي أنهم «خواجات» ، فيعزلون ، فلا يكون لهم تأثير ؟!..

حتى بمعايير «الحياد الإيماني» ، أي أيديولوجية أقدر علي تحريك هذه الأمة من الأيديولوجية والفكرية الإسلامية ؟؟

وحتى لا أطيل عليكم .. سأقول لكم كلمة قالها الشيخ محمد عبده ، في هذا المعنى ، عندما كان يتكلم عن مصر – كنموذج لهذه الأمة – قال عن التأثر بالأفكار

التي تأتي من الخارج .

« أهل مصر قوم أذكياء ، يغلب عليهم لين الطباع ، واشتداد القابلية للتأثر . لكنهم حفظوا القاعدة الطبيعية .. وهي : أن البذرة لاتنتج في أرض إلا إذا كان مزاج البذرة مما يتغذي من عناصر الأرض ، ويتنفس بهوائها ، وإلا ماتت البذرة بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها ، ولا على البذرة وصحتها ، وإنما العيب على الباذر نفسه .»

وتأملوا معي العبارة القادمة لمحمد عبده - في هذا السياق -:

« أنفس المصريين أشربت الانقياد إلى الدين ، حتى صار طبعا فيها ، فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح للتربة التي أودعه فيها ، فلا يثبت ، ويضيع تعبه . وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من أثر التربية التي يسمونها أدبية من عهد محمد علي إلى اليوم ، فإن المأخوذين بها لم يزدادوا إلا فسادا - وإن قيل إن لهم شيء من المعلومات - فما لم تكن معارفهم العامة وآدابهم مبنية علي أصول دينهم فلا أثر لها في نفوسهم »! أ . هـ .

وكلمة ثانية لجمال الدين الأفغاني يتحدث فيها عن تيار التغريب ، وكيف أنه «عمالة حضارية» .. «طابور خامس» .. وامتداد سرطاني في عقل الأمة و وجدانها - هذا ليس كلامي أنا - إنه كلام الأفغاني - الذي يقول :

« لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة ، المنتحلين أطوار غيرها ، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها ، وطلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات ، يمهدون لهم السبيل ، ويفتحون الأبواب ، ثم يثبتون أقدامهم »! .. أ . هـ .

* * *

تعالوا إلى كلمة سواء !!

سأختم باقتراح «كلمة سواء» .. لأننا لو وقفنا عند الانقسام الذي نحن فيه ، فنحن نكرس الأزمة ..

نحن نريد أن ندعو مختلف الفرقاء في التيارات الفكرية في أمتنا إلى كلمة سواء :

أولا : تحديد الخصوصية العربية الإسلامية .. معالمها .. حدودها وآفاقها .. وتحديد ما هو مشترك إنساني عام .

ثانيا : صياغة هذه الخصوصية في منهاج عام للفكر والحياة ، يعين على صياغة المناهج المتخصصة في علومنا الإنسانية .

ثالثا : الإبداع ، بواسطة هذه المناهج ، لتجديد وإثراء هذه العلوم التي تمثل فيها حضارتنا نهجا متميزا وإسهاما على مستوى الفكر العالمي .

رابعا : - وأخيرا - تحديد العلاقة بيننا وبين الآخر الحضاري - سواء أكان الغربي أم غير الغربي من الحضارات الأخرى - وهذه العلاقة لا بد أن نرفض فيها :

أ - الانغلاق .. فانغلاق الحضارة على ذاتها لا بد أن يقودها إلى الذبول .

ب - ونرفض التبعية .. لأن التبعية ، والفكر الجاهز والنظريات الجاهزة تعطل ملكة الإبداع .. وإذا كنا فقراء في الإبداع - وهذه حقيقة - وأثرياء في التقليد - وهذا مؤسف - فلن يكون هناك إبداع إلا لأصحاب النموذج الحضاري المتميز .

كيف تبدع إذا لم تكن ابن حضارة متميزة ؟ .. إذا كنت مقلدا للشرق أو للغرب فإن البضاعة جاهزة ومعلبة ومزينة .. وهذا هو الذي يعطل ملكة الإبداع .. ولن تجد إبداعا حقيقيا إلا إذا كان لك نموذج حضاري وخصوصية متميزة ..

القضية ليست موقفنا من الغرب بل موقف الغرب منا !

والقضية ليست بالنسبة لنا موقفنا من الغرب ، بل موقف الغرب منا ؟! .. لأننا نريد أن نتعايش ، لأن التعددية في الدين ، في الشرائع ، في القوميات ، في الألسن ، في الحضارات سنة من سنن الله في الكون ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ [هود : ١١٨] .. والمفسرون – لهذه الآية – يقولون : « وللاختلاف خلقهم » ؟!..

إذن ، التعددية سنة .. قانون من قوانين الله ، لا تبديل له ولا تغيير . فنحن الذين نقف مع التعددية .. لكن الغرب الذي يريد أن تكون حضارته هي الحضارة العالمية .. ونحن نقول : العالمي لا بد أن يكون مشتركا بين الحضارات المختلفة ، وليس نمطا لحضارة واحدة تفرض على الآخرين .. فالقضية ليست موقفنا من الغرب ، بل موقف الغرب منا .

والقضية ليست الإنسان الغربي ، أو العلم الغربي .. ولكن «المشروع الغربي» ، الذي ينفي مشروعنا ، وينفي وجودنا ، وينفي ذاتيتنا .

الغرب يقاتلنا في الدين ويخرجنا من ديارنا حقيقة أو حكما

الغرب : يقاتلنا في الدين .. ويخرجنا من ديارنا – إما حقيقة – كما في فلسطين (بالاستيطان) وفي البوسنة والهرسك – وإما حكما – ، لأنك إذا فقدت أن تمتلك مقدرات وطنك ، فأنت قد أخرجت منه ، حتى ولو كنت تعيش فيه !

الغرب يقاتلنا في الدين ، ويخرجنا من ديارنا ، ويظاهر – في أوروبا– الآن على إخراج المسلمين من ديارهم . ويظاهر إسرائيل على أن تخرج الفلسطينيين من ديارهم .

إذن ، القضية ليست الإنسان الغربي ، ولا العلم الغربي .. ولكن « المشروع الغربي » ..

استقيموا يرحمكم الله

ونحن ندعو إخواننا الذين لظروف كثيرة – قد لا يمتلكون مفاتيحها – تغربوا ، وأصبح الغرب هو خيارهم الذي يقدمونه بديلا للخيار الإسلامي . ندعوهم إلى كلمة سواء .. ونقول لهم :

نريدكم أن تستقيموا ، يرحمكم الله .. لا أن تستقيلوا يرحمكم الله ؟!..

شكرا .. والسلام عليكم ورحمة الله ... [تصفيق] ...

الأستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذ الدكتور محمد عمارة ، على هذا الشرح الطيب .. والآن سيكون أمامنا عشر دقائق لكل ضيف لكي يعقب على حديث الآخر . نبدأ بالدكتور فؤاد زكريا ليعقب على كلام الدكتور عمارة فيتفضل مشكورا .

تعقيب الدكتور فؤاد زكريا

مهمة صعبة وموقف محير

في الواقع إن مهمتي صعبة ، لأنني لا أعرف موقعي فيما قاله الدكتور محمد عمارة . يعني أنا سمعت كثيرا تعبير : يقولون كذا ويتحدثون عن كذا ، ويفعلون كذا! « واو » الجماعة هذه موجودة دائما ، لم أعرف من هم الذين يقولون ويتحدثون ويتأثرون ؟! الخ .

وفيما يخصني بالذات ، إن كنت أنا واحدا ضمن «واو» الجماعة أم لا ؟! [تصفيق] ... وهذا يولد لدي موقفا محيرا ، لكن ... [مقاطعة] ...

الاستاذ سعد الرميحي : *الرجاء التزام الهدوء ...*

دكتور فؤاد زكريا :

من هؤلاء الخصوم الذين يتحدث عنهم الدكتور عمارة ؟!

لهذا السبب ، لا أجد أنني مضطرا إلي أن أرد ، لا بالنيابة عن نفسي ، لأنني كما قلت لا أعلم موقعي تماما من هذا الحديث ، وإنما أرد بالنسبة لبعض الأفكار التي طرحت الآن ، وصدي هذه الأفكار لدى إنسان يفكر بالطريقة التي أفكر بها . يعني هو بشكل عام عندما نتحدث عن أزمة العقل العربي كنت أتصور هذا موضوع فيه قدر من التخصيص ، ونحن لا نتحدث عن المجتمعات العربية أو الأمة العربية كلها ، وإنما نتحدث من زاوية معينة ، طبعا كل أزمة يشارك فيها العقل ، أي قضية (سياسية ..

اقتصادية .. عسكرية) ، لكن للعقل دوره في كل هذه الأزمات . لكن عندما تخصص في عنوان المحاضرة «أزمة العقل العربي» فأنا حسب تفكيري ، هذا موضوع خاص لا يقتضي منا أن نطرح هموم الأمة العربية كلها ، ولا يحتم علينا أن نعود إلى ذلك الموضوع الذي يعني أصبح حملا في الآونة الأخيرة ، وهو الصراع الدائم والحوار الدائم بين من يسمون بالعالمانيين ومن يسمون بالإسلاميين ، والتسميتان معا خطأ .

لذلك أنا أتمنى أن أعرف من هم هؤلاء الخصوم الذين يتحدث عنهم الصديق الدكتور محمد عمارة ؟.. لأني أنا وجدت أنه قام بتفصيل - كما يفعل الترزي - وده من منطلق المودة - قام بتفصيل الخصوم على مقاس معين ، ثم بدأ يهاجمهم ، وله الحق ، إذا كان الخصوم بهذا الشكل فله أن يهاجمهم ، وأنا كمان لا بد أن أهاجمهم . طبعا إذا كانوا بالمقاس الذي عرض ، أو اختاره الدكتور عماره .

يعني دائما لدينا تعبير : من يحاكون النموذج الغربي ، ومن يقتدون بالنموذج الغربي ، ومن يقلدون النموذج الغربي ، ومن يدعون إلي أن يقيموا حياتنا علي أساس الغرب . أين هؤلاء ؟ - إذا استثنينا سلامة موسى وشبلي شميل - وهؤلاء كانوا يعيشون في ظروف معينة وفي فترة معينة ولهم وضعهم الخاص من نواحي كثيرة - ولكن ، إذا استعرضنا المسرح الفكري العربي ، قدموا لي نموذجا واحدا لهؤلاء الذين سحقوا أنفسهم في النموذج الغربي ، كما يقول الزميل الدكتور عمارة ، أين هم ؟! أنا لا أعرف هؤلاء الناس .

مستحيل أن يدافع أحد عن الغرب بالمعنى المطلق

أنا أعرف ، من ضمن هؤلاء الذين يسمون العالمانيين - وأنا أصر علي هذا التعبير ، ولكنه غير دقيق - من بينهم من حاربوا الغرب إلي حد أنهم ضحوا بحياتهم

في سبيل هذه الحرب ، ودخلوا السجون ، واستشهدوا في أحيان غير قليلة ، يعني المثقفين المحيطين بنا ، الذين ليسوا من التيار الإسلامي السياسي ، ليسوا أبدا منقادين للغرب كما يقال ، ولا يدعون أن نقلد النموذج الغربي ، ولا يهاجمون . وأنا شفت الحقيقة أشياء جعلتني أندهش . مثلا ، إن بعض الناس من هذا الفريق الآخر يحرم لبس المرأة إذا كانت محتشمة ، من قال هذا ؟ جميع من يتحدثون في هذا الموضوع يبدون إحترامهم لإرادة أي أمرأة تريد أن تتحجب أو تتنقب ، لكن المهم في الأمر ما (يقاش) الهجوم الجارح على النمط الآخر من النساء ، لأن بينهن المحتشمات في حدودهن الخاصة ، وبينهم من تؤدي رسالتها في المجتمع على أكمل وجه ، ولكن لم أر شخصا واحدا من هؤلاء يهاجم الحجاب لذاته أبدا . لأنه لو فعل ذلك كان متناقضا مع نفسه ، وكيف تنادي بالحرية في جانب وتحرم مجموعة من الحرية في الجانب الآخر ، ولن يحدث ذلك (١).

يحرمون اجتهاد الإسلاميين في الديموقراطية ، من قال هذا ؟ والمشهد الذي أراه

---

(١) يفصل الدكتور فؤاد زكريا في هذه الفقرة عالمانيين على مقاس معين لا وجود له إلا في خياله الخصيب ليتسنى له أن يدافع عنهم وأن يقدمهم في هذا الإطار الوديع الخلاب !

ترى أين هؤلاء العالمانيون (الطيبون) الذين يحترمون حق المرأة المسلمة في ارتداء الحجاب ولا يثيرون حوله ضجيجا ولا جلبة ، ولا يطمعون في أكثر من عدم توجيه الهجوم الجارح على النمط الآخر من النساء ؟! ترى هل أتاه نبأ إخوانه من العالمانيين وهم يشنون الغارة على الحجاب ويصفونه بأنه حجاب على العقل (!) وأنه ردة حضارية وعودة بالأمة إلى عصور الانحطاط (!) ويسودون في ذلك الكتب والمقالات التي تغص بها الصحف القومية وغير القومية ؟

ترى هل أتاه نبأ فصل المذيعات المحجبات أو منعهن من الظهور أمام الشاشة الصغيرة بقرار سيادي لا رجعة فيه . وأنباء مسلسل الإيذاء الذي تتعرض له المنتقبات داخل ما سمي الحرم الجامعي وغيره من مؤسسات الدولة ومرافقها العامة تحت سمع وبصر دعاة الحرية والديموقراطية ؟

إن صور الكاريكاتير التي نشرت في الهجوم على لباس المرأة المسلمة تكاد تكون وحدها سفرا ضخما يبلغ عدد صفحاته بضعة آلاف !!

فأي الطرفين قام بدور التوزي وابتكار المقاسات واختراع الموديلات ؟! أجيبوا يا أولي الألباب .

، أن هناك دعوة دائمة للاجتهاد ، وكل فكرة جديدة تلقي ترحيبا كبيرا . انظروا إلى كتاب الشيخ محمد الغزالي الأخير ، وترون كم من الكتاب الذين يوصفون أنهم عالمانيون كتبوا عنه كلاما رائعا ، يمدحوه إلى أقصى حد . هؤلاء عندما يجدون بادرة يرحبون بها . ولذلك أنا أقول إن الدكتور محمد عمارة اخترع خصوما ، يعني على مقاس خاص ، يسمح له بأن يشبعهم ضربا ، وقد فعل . لكن إذا تأملنا المسرح المحيط بنا فلن نجد هؤلاء الخصوم . ترى الاستلاب الحضاري ، الانسحاق في الغرب ، نفس الكلمات مختارة لكي تولد الاحساس والنفور لدى الجمهور . أين هذه العملية هي أن هناك فئة في هذا المجتمع لا يجرون وراء الغرب ذاته ، لأننا نعلم الغرب هو مصدر الاستعمار الذي عانينا منه أمدا طويلا . مستحيل أحد أن يدافع عن الغرب بالمعنى المطلق ، ولكن إن التغيير الذي يحدث في العالم ، والتقدم الذي يفرض نفسه على الجميع يأتي من هناك ، وليس بالضرورة ، اليابان أصبحت نموذج ، واليابان في أقصى الشرق ، وما أكثر المعجبين باليابان الآن ، هل نسميهم مستشرقين ؟ أو مستغربين مسحوقين في الشرق ؟ وهذا النموذج موجود ، وإذا حصل إن مثلا كما يتوقع الكثيرون ، كوريا وتايوان وهونج كونج وسنغافورة ، وربما الصين أيضا ، أصبحوا في الصف الأول من التقدم في العالم ، سوف يعجب الكثيرون بنموذجهم ، دون تقليد أعمى ، لأن المعجب بهذا النموذج يريد أن نكون نحن أيضا في الصف الأول .. وهذه نية طيبة ، وليس شيء يعاقب عليه الإنسان . نفرض أن هذا حدث ، وما يتوقعه الكثيرون ، ماذا سنقول عن عملية الانسحاق في الغرب والاستلاب في الغرب .. و .. و .. إلخ .

المسألة أن هناك من يبحثون عن مصادر التقدم ، ويدعون مجتمعاتنا إلى الأخذ بهذه الأسباب ، وهذه ليست جريمة ، وليست انسحاق . وكذلك كتبت هذا التشبيه ، وللأسف لم يلفت نظر الكثيرين ، لأن المجال الذي كتب فيه لم يكن واسع الإنتشار .

مثل من الأندلس !

تخيلوا أن هناك راهبا أسبانيا ، في عصر فتح الأندلس ، في عصر وجود العرب في الأندلس ، وهو عصر يتفق جميع المؤرخين المنصفين على أنه كان عصر ازدهار ، تعلم منه الكثير واقتبست منه على أنه أحد العوامل الهامة التي ولدت ما يطلق عليه اسم النهضة الأوربية الحديثة . تخيلوا هذا الراهب الأسباني قال : كيف نقلد هؤلاء العرب الذين دخلوا إلينا غزاة ؟ والذين يدينون بدين غير ديننا ؟ وكيف نستلب في أفكارهم ومعتقداتهم وعلومهم وفي آدابهم ؟ هذا كفر ، وهذا مروق ، وهذا خروج عن الدين.. و .. إلخ ..

تخيلوا أن هذا الراهب منع شعبه من أن يحتك بأخذ العناصر الإيجابية العظيمة الموجودة في الحضارة الوافدة . ماذا كان سيحدث لهؤلاء الناس ، لو كانت هذه هي القاعدة ؟! ثم من جهة ، لماذا نفخر نحن في كل أمر بأننا أثرنا على أوربا في كذا وكذا عندما كنا أقوياء معنويا وماديا ؟ ولماذا نأتي اليوم ونسمي هذا التأثير بالاستلاب والمتغربين ؟ .. لماذا ؟! ..

أنا أقول إن النمط الذي تحدث عنه الزميل محمد عمارة ليس موجودا الآن . ولكن في الحقيقة ، في أوائل سنة ١٩٢٠ م كان موجود هذا النمط ، ولكن في هذه اللحظة من تاريخنا لا يوجد هذا النوع ، وكل ، إنسان يدعو إلى الاقتداء بالنموذج الغربي يعرف حدوده ، ويؤكد هذه الحدود ويعرف جيدا مساوئ الغرب ، ومن خلال معرفتنا بمساوىء الغرب . يجب أن نعرف مساوئ الغرب .

والحديث الزائد عن الاستعمار ، وما فعله ، وكيف أنه أدى إلى تدهورنا ، هذا حديث يجب أن نتحفظ فيه كثيرا . معظم البلاد الإسلامية خرجت من تحت الاستعمار .

وأكتفي بهذا الآن . الرئيس يطالبني بالوقت . وشكرا ... [تصفيق] ...

* * *

الأستاذ سعد الرميحي :

كل واحد له أن يكتب سؤالا على ورقة واحدة .

فليتفضل الدكتور محمد عمارة ليرد على الدكتور فؤاد زكريا .

تعقيب الدكتور محمد عمارة

أعبر عن سعادتي أن الدكتور فؤاد أخرج نفسه من واو الجماعة !!

إنني أعبر عن سعادتي البالغة أن الدكتور فؤاد زكريا تبرأ من أن يكون ضمن «واو» الجماعة ... [تصفيق] ...

إنني لم أفصل – تفصيل التزرية – وإنني لم أذكر الأسماء – إلا إذا اضطررت إلى ذلك ...

من يتحدثون عن الحضارة الغربية باعتبارها الحضارة الإنسانية العالمية لأننا أسهمنا فيها كثيرا ؟! وينكرون خصوصية الحضارة الإسلامية ! .. أ ليس لدينا من ينكر أن يكون الإسلام مرجعا للنهضة الحضارية ؟!

هل هذا افتراء ؟

حضارات آسيا حضارات محلية ، وليست عالمية .. يمكن أن تقلد في الصناعة ..

* أليس في حياتنا اليوم من يتحدثون عن غموض الحل والطريق الإسلامي ؟!

* أليس في حياتنا من يقولون إن ٩٩٪ من التاريخ الإسلامي ظلام ؟!

* أليس بيننا اليوم من يقول إن النص الديني الاسلامي لم يطبق في تاريخنا .. وإذا كان لم يطبق في التاريخ فكيف تريدون تطبيقه في المستقبل ؟!

والتنوير .. ذكرت لكم أنهم اليوم يرونه ، فقط في طه حسين عندما أخطأ .. عندما شكك في القرآن الكريم ! .. عندما قال : إن العقل الإسلامي يوناني إغريقي ، لم يغير القرآن من يونانيته ، كما لم يغير الانجيل من يونانية العقل الأوربي ، لأن القرآن جاء مصدقا للإنجيل ؟! .. أليس بيننا اليوم من يعتبر هذا هو التنوير .. بل ولا يعتد بتراجع طه حسين عن هذا الرأي ، عندما سئل - في ١ مارس سنة ١٩٧١ م عن كتابه [مستقبل الثقافة في مصر] - الذي قال فيه هذا الكلام - فأجاب :

«ده كتاب قدم قوي .. لقد كتبته سنة ١٩٣٦ م .. ولازم أرجع له وأعدل فيه وأغير أشياء كثيرة !» أليس بيننا تيار يرى هذا تنويرا ؟!

نحن الذين ننصف رموزنا وعلماءنا .. لا الذين يأخذون الموقف الأول - الذي تجاوزه صاحبه - باعتباره هو التنوير ! ..

إذا كان لا يرى النموذج الغربي مرجعية لنهضتنا فما هي المرجعية ؟

ثم إنه إذا كان الدكتور فؤاد زكريا لا يدعو لتقليد الغرب .. وإذا كان لا يرى النموذج الغربي مرجعية لنهضتنا .. فما هي المرجعية ؟؟ [تصفيق] .. هل الوضعية الغربية هي المرجعية ؟ ماهي المرجعية ؟! .. لا أظن أن أحدا سيختار اليهودية ! .. لا أظن أن أحدا سيختار التثليث ؟! .. هل عندنا غير الإسلام ؟؟ لابد أن نتفق على المرجعية .. ثم نشترك في الاجتهاد في الفروع ..

ألم يكتبوا أن الحجاب ردة حضارية واكتئاب ؟!

موضوع زي المرأة .. عظيم أن يقول الدكتور فؤاد : «مفيش حد قال» ...

لكن .. ألم تُكتب الكتب والمقالات عن أن «« الحجاب : حجاب على العقل»» ؟! .. و«« الحجاب : ردة حضارية»» ؟! .. و« الحجاب : اكتئاب»» ؟!

ألم يكتب حسين أحمد أمين في صحيفة [الأهالي] يدعو إلى انعقاد «برلمان» يمثل الأمة ليبحث أخطر المشكلات .. ومنها : «« أن نسل المحجبات ضعيف »» ؟؟ ... [ضحك من القاعة] ...

ولقد تساءلت يومها – وأنا فلاح – وأمهاتنا جميعهن محجبات – فقلت : وهل كانت السيدة زوجة المرحوم الدكتور أحمد أمين تلبس «ميني جيب» ؟! لا يمكن .. فأين الضعف في نسل المحجبات ؟! .. هل هذا الكلام عن الحجاب لم يقله أحد ؟؟!

من ذا الذي نسي أن الديموقراطية في الجزائر صناعة إسلامية ؟

والاجتهاد في الديموقراطية .. من الذي جاء بالديموقراطية إلى الجزائر ؟؟ .. أليس الإسلاميون – في الجزائر – هم الذين جاءوا للجزائر بالديموقراطية ، وبالتعددية .. وبدمائهم في أحداث أكتوبر سنة ١٩٨٨ م ؟

فإذا جاء خطيب مغمور – في مسجد غير ملحوظ – وهو مفصول من جبهة الانقاذ – فقال إن الديموقراطية كفر .. عندما يحدث ذلك .. من الذي نسي أن الديموقراطية في الجزائر هي صناعة إسلامية .. وتذكر فقط – بل وجعل من كلمة هذا الخطيب المغمور ، المفصول من الجبهة – « ما نشتات « الصحافة العالمية» ؟! هذه حقائق ؟ .. أم اختراعات .. وتفصيل ترزية » ؟! ..

ألم يروا في كلمة هذا الخطيب المجهول « إجتهادا فيما لا يجوز الاجتهاد فيه ؟!»

نريد أن ننفتح على الدنيا لكن مع الاحتفاظ بهويتنا

موضوع أن الغرب تأثر بحضارتنا الإسلامية .. فلماذا نعتبر نحن التأثر بالحضارة الغربية عيبا ، على حين نفخر بأن الغرب تأثر بنا ؟

أنا لي كتاب كامل في هذا الموضوع – اسمه [الغزو الفكري وهم ؟ أم حقيقة ؟] .. هناك فارق بين ما هو «مشترك إنساني عام » .. وبين «الخصوصيات الحضارية» .. أنا عندما أكون عالما في التربة الزراعية ، إذا حللت التربة الزراعية في لندن .. في باريس .. في تل أبيب .. وكان القائم بالتجربة : مسلما .. أو يهوديا .. أو بوذيا .. فإن حقائق وقوانين التجربة المعملية لا تتغير ... ولكن عندما أتكلم في التجربة الشعرية ، فإنها لن تتكرر ! .. بل إنها لا تتكرر عند الشاعر الواحد مرتين !..

العلوم الإنسانية شيء .. والعلوم الطبيعية المحايدة شيء آخر .. في العلوم الطبيعية لاتتغاير الحقائق بتغاير عقائد وثقافات وحضارات الناظرين ... وفيها يجب أن نتتلمذ على الغرب ، وبأمانة وإخلاص .. أما العلوم الإنسانية فهي «البصمة الحضارية» .. نريد أن نصافح كل الدنيا دون أن نتنازل عن «بصمتنا» .. نحن انفتحنا على الهند ، إبان نهضتنا الاسلامية .. لكن ، لماذا أخذنا حساب الهند وفلك الهند، ولم نأخذ فلسفة الهند ؟! .. انفتحنا على الرومان ، وأخذنا نظام تدوين الدواوين ، ولم نأخذ القانون الروماني .. انفتحنا علي الفرس ، لكن لماذا أخذنا «التراتيب الإدارية» ، ولم نأخذ مذاهب الفرس ؟!

أوروبا انفتحت علينا . إبان نهضتها ، لكن ، لماذا أخذت كل ما لدينا من العلوم المادية دون علوم المرجعية الإسلامية المتميزة ؟! .. هل أخذت عنا إنسانياتنا ؟! .. حتى

ابن رشد ، أخذوا منه ابن رشد الشارح لأرسطو .. ورفضوا ابن رشد المسلم ، المالكي ، القاضي ، المتكلم ... أخذوا المنهج التجريبي ، والعلوم الطبيعية ، لكن الإنسانيات لم يأخذوها ..

نحن نريد أن ننفتح على الدنيا ، لكن مع الاحتفاظ بهويتنا ،.. من الذي يقول إننا لا نريد أن نتأثر بالغرب .. ليس نتأثر فقط .. بل نتتلمذ عليه ! .. لكن في أي نطاق ؟ وما هي الخصوصية ؟ .. نحدد نطاق الخصوصية الحضارية ، ودور المرجعية الإسلامية في تحديد هذه الخصوصية .. ونطاق المشترك الإنساني العام – وهذه مواطن اجتهادات لتيارات الفكر في بلادنا –..

من قال إن مقاليدنا أصبحت في أيدينا ؟

النقطة الأخيرة التي أختلف فيها مع الدكتور فؤاد زكريا ، هي « أن مقاليدنا أصبحت في أيدينا » .. من قال هذا يا دكتور ؟؟ ... [تصفيق] ...

أنا لي وجهة نظر .. إن الصراعات الداخلية في أية أمة من الأمم أمر طبيعي .. لكنها تحل وفق قوانين وموازين الصراعات الداخلية ، ولحساب الأطراف الداخلية ، إذا لم يكن هناك الطامع المتربص على الأبواب .. لأن العدو إما أنه يصنع الصراعات الداخلية ، ليخترقنا من خلالها .. أو أنه يحافظ عليها ، لتظل ثغرات مفتوحة للإختراق !..

كان يحافظ علي مرض «دولة الرجل المريض» وعندما جاء محمد علي ليجدد شباب هذه الدولة ، وليسد الثغرات ، ضربوه ؟! .. وكان يحافظ على استبداد الخديوي في مصر .. وعندما جاءت الثورة العرابية ، لتسد هذه الثغرة – التي يتسلل منها العدو – تسدها بالديموقراطية والحريات ، ضربها ؟! .. وكان يحافظ على الانقسام بين القوميين العرب وبين الاسلاميين .. يضرب السلطان بمحمد علي ، ويضرب محمد علي

بالسلطان ؟! .. يضرب الشريف حسين بالسلطان ، ويضرب السلطان بالشريف حسين ؟! .. فالعدو الخارجي ، إما أنه يصنع هذه الثغرات ، أو يحافظ عليها ، ويتميها !..

طبيعي أن تكون لنا مشاكلنا الداخلية .. لكن الكثير من أمراضنا إما أنها صناعة خارجية ، وإما أنها محروسة من الخارج ! .. كلكم تعلمون ، من الذي صنع النظام العراقي ؟ من الذي صنعه صنعا ؟ وجاء به إلى السلطة ؟ وموله ؟ واستخدمه في حرب الخليج الأولى ؟ وأوقعه في حرب الخليج الثانية ؟..

أين هي مقاليدنا التي في أيدينا ؟؟! .. لقد أغرونا منذ السبعينيات بالاقتراض والاستدانة ، ولفت الأسلاك والجنازير على أعناقنا ، وأصبحنا لا نكاد نخدم على فوائد الديون ! .. من الذي صنع هذا ؟! من الذي أغرى الكثيرين من حكامنا بـ ٤٠٪ عمولات من القروض ؟! .. نحن ؟ .. الشعب ؟ .. أنا ؟ .. أو الدكتور فؤاد ؟! .. من الذي صنع هذا ؟؟!..

أنا قرأت كتابا من أكثر من ٩٠٠ صفحة .. كل هيئات التنصير عقدت مؤتمرا في «كولورادو» .. بأمريكا سنة ١٩٧٨ م ، لتنصير كل العالم الإسلامي .. بمخطط جديد ، وذلك باختراق الإسلام من داخل الإسلام .. التنصير من خلال القرآن .. من خلال الثقافة الإسلامية .. بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية .. التنصير من خلال العمالة المدنية .. التنصير من خلال الجاليات المهاجرة .. من الذي يخطط لهذا ؟ .. من الذي يكتب في الاستراتيجية لكي يسيطر علينا .. وفي الدين ليسيطر علينا ؟ ...

أنا أقول ، ياليت مقاليدنا كانت بأيدينا .. كنا نعنف أنفسنا ، ونشفى من هذه الأمراض .. إنما القضية ، كما تلمسها جميعا ، ليست كذلك ..

ومرة أخري ، أقول : أنا سعيد سعادة بالغة أن الدكتور فؤاد زكريا أخرج نفسه من «واو» الجماعة .. وأدعوه ليضع يده في يدنا ضد هذه الجماعات ! .. وشكرا .
[تصفيق حاد] ...

الأستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذ الدكتور محمد عمارة ، ونحن ، بهذه الكلمة ، المفروض أن نأتي لختام هذه الندوة ، ونبدأ في طرح الأسئلة . ولكن ، أنا شايف الدكتور فؤاد زكريا يريد أن يعلق على كلام الدكتور عمارة ، ولو في كلمة صغيرة ، ونسمح للطرفين كل واحد ٣ دقائق فقط .. رجائي الالتزام بالوقت ..

تعقيب الدكتور فؤاد زكريا

هذا حق مشروع ، لأن آخر كلمة كانت للدكتور عمارة ، وفيها الكثير مما يمكن أن يعلق عليه . يعني فيما يتعلق بأن الدكتور زكريا أخرج نفسه ، هذا تعبير يوحي بأنه كان منهم ثم أخرج نفسه ! ، فهو تعبير صيغ بذكاء شديد أحسد عليه الدكتور عمارة ، ظاهره يوحي بأنه يمتدحني ، ولكنه في حقيقته ينطوي على قدر كبير من الخطورة . هذه نقطة.

أنا أريد أن أتكلم عن نفسي ، فلقد كنت على ذلك دائما منذ بداية الأمر ، ولله الحمد كتاباتي موجودة ، وأقوالي موجودة .

ومسألة مواجهة الغرب ، وإدراك خصوصيتنا الثقافية – هذه من العناصر الأساسية

التي بنينا عليها تكويننا الفكري ، أنا وجيل كامل أنتمي إليه والذي يهاجم الآن في هذه المناظرة .

مسألة إننا نتأثر بالغرب ونترك الإنسانيات .. الغرب ترك جوانب من التأثير الثقافي العربي في الأندلس ، وأخذ بجوانب أخرى .. حتى الشعر الغربي تأثر بالشعر العربي في ذلك الحين ، والعلوم الإنسانية ، كان هناك تأثير عربي شامل ، حتى في آداب المحادثة وغيرها من مظاهر الحضارة . في ذلك الحين كان التأثير العربي بركة على الغرب ، ويجب أن ندرك أن التمازج الحضاري باستمرار بركة على المجتمعات البشرية كلها ، بشرط أن لا يصل إلى مرحلة القضاء على شخصية المجتمع .

مسألة الاعتراض على مقولة « إن مقاليدنا أصبحت بأيدينا» .. وضرب المثل بصدام حسين - وهذا مثل مهم جدا - أريد أن أقول : إن أكبر كارثتين حلتا بالعالم العربي ، وأرجعتا العالم عشرات السنين إلى الوراء وهي كارثة سنة ١٩٦٧ م . وغزو الكويت سنة ١٩٩٠ م .. هذان أخطر حدثين حدثوا في العالم العربي ، وعلى أن تأثيرهم علينا كان واضحا . وأنا أزعم أنهم ، بالرغم من تدخل الغرب ومؤامرات الغرب- وهذه حقيقة .. دى شغلتهم وسياستهم - وهذا لم يحدث إذا اتبعنا سياسة أحسن . لأنة لم يكن عبد الناصر في سنة ١٩٦٧ م أن يفعل الشيء الذي ظلت مجموعة الأمريكان تحركه لكي يفعله ، ولم يكن صدام في سنة ١٩٩٠ م مضطرا إلى أن يفعل ما دفع إلى فعله . نحن نترك مقاليد الحكم في أيدي حكام لكي يحصونا ولكي يفكروا ألف مرة قبل أن يتخذوا أي خطوة ، وبإمكانهم أن يتصرفوا بشكل أحسن ، ويجنبونا هاتين الكارثتين . وشكرا .

الأستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذ الدكتور فؤاد زكريا والآن الكلمة للدكتور محمد عمارة

تعقيب الدكتور محمد عمارة

سعادتي لم تتغير . وأنا استدرك على كلمة الدكتور فؤاد زكريا ، وهو يتكلم ويقول إن العالمانيين فيهم أناس وطنيون ، ودخلوا السجون . وأنا قلت قبل ذلك ، إن هناك علمانيين وطنيين وقوميين يمكن الحوار معهم ، وهناك فارق بين عالمانية تريد أن تفهم وتتفهم .. وبين الغلو العالماني ، الذي يضرب في الأصول ، في الدين نفسه .. وليس إجتهادا في الفروع .

أما أن الغرب لم يأخذ عنا فقط العلوم الطبيعية .. فأنا اختلف مع الدكتور فؤاد في ذلك .. الغرب - وهذه قصة طويلة - ولذلك سأضرب عليها مثلا واحدا - عندما أخذوا ابن رشد ، فصلوا بينه كشارح لأرسطو - وهذا القسم أخذوه - وبين ابن رشد المسلم - وهم إلى الآن يحقرونه في اللوحات المعلقة في الكنائس والكاتدرائيات !.. لقد أخذوا طب ابن سينا ، ورفضوا فلسفته الشرقية ! .. وتلك قصة تحتاج إلى كلام كثير .

النقطة الأخيرة : حكامنا ... يقول الدكتور فؤاد : « احنا كان يمكن أن نتخذ سياسة حكيمة » .. « إحنا » مين ؟! هل تحسب علينا هؤلاء الحكام ؟! .. يعني واحد مثل صدام حسين لا يمكن يحسب علينا نحن ! هل الشعب العراقي هو المسئول عنه ؟! .. قد يقول البعض منكم : إن الشعب العراقي يؤيده ! .. لماذا ؟ .. لأن البديل المطروح أسوأ من صدام ؟! .. نحن أيدنا المماليك .. لماذا ؟ لأن وجودنا كان مهددا من

الخارج !.. أيدنا حكم «العضلات» وليس «العقل» ، لأن الوجود نفسه كان مهددا .. فقرض علينا ذلك ، ولم نختره ، عندما هدد التتار والصليبيون وجودنا ذاته ! .. لأن البديل المطروح من الخارج أسوأ من نظام صدام .. والشعب العراقي يعرف ذلك .

إذن ، لا بد أن نبحث عن العامل الخارجي ، لا لنعفي أنفسنا من المسئولية ، وإنما لننير لأنفسنا الطريق ، ونعرف ما هو التناقض الرئيسي ؟ وما هي التناقضات الثانوية ؟ وما هو العدو الأساسي ؟ وما هي التوابع ؟! وإذا حللنا العقدة الأولى والرئيسية في السلسلة نؤثر في بقية الحلقات . وشكرا .

الأستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذ الدكتور محمد عمارة وشكرا للأستاذ الدكتور فؤاد زكريا .. والآن نطرح الأسئلة التي وردت . سؤال إلى الأستاذ الدكتور محمد عمارة :

مناقشات وتعقيبات

س : كيف ترى وتقيم موقف الجماعات والتيارات الإسلامية من خلال أزمة الخليج ؟

جـ : دكتور محمد عمارة :

– **أولا** : أنا أقيم موقف الجماعات الإسلامية من خارجها ، فليس لي علاقات بالتنظيمات .. وأقول : إن أزمة الخليج كانت فتنة في الواقع وفي العقل . واختلفت فيها كل تيارات الفكر .. اختلف الماركسيون .. واختلف القوميون .. واختلف الإسلاميون . وآن الأوان ليجلس كل الفرقاء لدراسة هذه الأزمة ، وليحددوا الأنصبة لكل طرف من الأطراف . فإذا نحن سلطنا الضوء الحقيقي على الفاعل الأصلي فلن

نختلف على من تحرك على الطاولة !.. لقد اختلفنا لأننا وقفنا عند الذين حرّكوا على المائدة ! ولو رأينا الخيوط التي تحرك من تحرك ، لما اختلفنا هذا الاختلاف !

الأستاذ سعد الرميحي : *والآن سؤال للدكتور زكريا ، يقول :*

س : « كيف يجتمع في نفسك النموذج الغربي والنموذج الإسلامي ؟ أ ليس هذا ازدواج ؟»

جـ : دكتور فؤاد زكريا :-

في نفس مين ؟! . أنا أريد أن أقول إن هذا الاجتماع موجود في مجتمعاتنا بشكل تلقائي ، ولا يستطيع أحد أن يصف أي مجتمع إسلامي الآن بأنه مجتمع إسلامي صرف خال من المؤثرات الغربية ، حتى اللغة التي نستخدمها في حوارنا يدخل فيها عدد كبير من المفاهيم والمصطلحات ومن التعبيرات التي لولا أن هناك كتابات متعلقة بالثقافات الغربية لما دخلت إلى هذه اللغات ، ولا أريد أن أتحدث عن الطريقة التي نسلك بها أو نتحدث بها أو التي نأكل بها . المواصلات ، والأدوات المكتبية ، وأدوات الاتصال عن بعد ... إلخ .. هذه كلها أمور تدخل في صميم حياتنا الإسلامية . ومن يوجهون مثل هذا السؤال إلي في سنة ١٩٧٩ م ، عندما انتصر الخميني في ثورته الإسلامية في إيران ، كتبت الصحافة العالمية تقول : لقد كانت هذه ثورة الكاسيت . فأخذت أداة تكنولوجية غربية من أجل تحقيق النصر لثورة إسلامية . بهذا الشكل تعايش الجانبان ، جانب علمي وتكنولوجي وجانب روحي في عقل ونفس من أكبر ممثلي التيار الإسلامي في عالمنا المعاصر . و مثل هذه المعايشة ليست

مستحيلة .. وهذا هو أمر واضح في عالمنا الإسلامي الحديث[1] .

الأستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذ الدكتور فؤاد . والسؤال إلى الأستاذ الدكتور محمد عمارة :

س : « يتحدث أصحاب الإسلام السياسي عن الديموقراطية في الجزائر ، ولم نسمع منهم صوتا واحدا على الإنقلاب على الديموقراطية في السودان ؟ وقامت به فصيلة من فصائل الإسلام السياسي ، وهو جبهة الترابي . فما رأيكم في الانتقاء ، والنظر بعين واحدة ؟»

جـ : دكتور محمد عمارة : لي ملاحظات وانتقادات على ما هو حادث الآن في السودان .. مع تأييدي الشديد للدور البطولي الذي يقوم به الشعب السوداني بقيادة النظام الحالي .. [تصفيق] ... ضد الصليبية العالمية ، التي تريد إغلاق أفريقيا وبوابة

---

(١) لا يتصور عاقل أن يكون مثل هذا التأثر المتبادل في بعض وسائل التقنية موضعاً لتساؤل أو اعتراض .

ولكن السؤال يتجه – بطبيعة الحال – إلى البعد الأيديولوجي في كلا النموذجين إن النموذج الإسلامي يقوم على مرجعية الشريعة وحاكمية الوحي عند التنازع ، وجماعه في باب الحكم حرامة الدين وسياسة الدنيا به .

أما النموذج الغربي فإنه يقوم على الكفر بمرجعية الشريعة في علاقة الدين بالدولة ونقل مصدرية الأحكام ابتداء من الوحي إلى العقل المحض ، ويجعل من المصلحة البحتة كما تتخيلها الأهواء البشرية المتصارعه مصدرا للحجية ومعيارا للمشروعية .

هذا هو معقد التفرقة بين النموذجين ، وإلى مثل هذا التقابل يتوجه السؤال ، وحول هذا التناقض يدور المعترك السياسي والفكري في واقعنا المعاصر .

فتهميش المسألة على النحو الوارد في الإجابة والاحتجاج بقيام الثورة الإيرانية على الكاسيت كدليل على التمازج بين النموذجين نوع من المغالطات المنكورة !

أفريقيا أمام العروبة والإسلام عن طريق جنوب السودان .

وأنا تحدثت مع الأستاذ الترابي مرة – وكنا معا في الجزائر – وقلت له : لماذا أعدمتم الذين قاموا بمحاولة انقلاب دون محاكمة واضحة ؟ صحيح القائمون بانقلاب ، وبكل المقاييس ، سوف يحكم عليهم .. لكن لا بد من احترام حقوق الإنسان في المحاكمة العادلة ..

أنا لي ملاحظات .. وأرى دعم النظام في السودان ، فهذا هو السبيل إلى تطويره . والسودان الآن لديه تجربة لا نستطيع أن نحكم عليها الآن ، لأن آفاق هذه التجربة – ولها اجتهادات – لم تبلغها بعد .. وأنتم تعرفون الترابي ، رجل مجتهد حتى في الأصول – أصول الفقه وليس أصول الدين بالطبع – وليس في الفروع فقط ! .. عندهم اجتهادات في السياسة .. والتنظيمات الشعبية .. والتمثيل الشعبي .. فنحن ننتظر ونأمل من الله سبحانه أن يوفق هذه التجربة .

الأستاذ سعد الرميحي :

شكرا للدكتور عمارة . والسؤال للدكتور فؤاد :

س : « هل تعتقد أن تطبيق الشريعة الإسلامية يعوق التقدم ومسايرة العصر ؟ »

جـ : دكتور فؤاد زكريا : هذا في الواقع سؤال تفوته كل التفاصيل التي حاولنا أن نوضحها في هذه المحاضرة وفي مناسبات سابقة عديدة . لأن القضية ليست تطبيق الشريعة الإسلامية أو عدم تطبيقها ، ولكن القضية في مدى الاجتهاد الذي يبذل من أجل إقامة نظام قادر على أن يكون له مكان ، له مواصفات العالم المعاصر الذي نعيش فيه . هذه هي القضية ، ونحن جميعا أناس مهمومون بهموم أمتنا ، هذه حقيقة ،

لا أحد يرضيه التردي الذي انزلقنا إليه . ولو قدم إلينا مثلا تيار إسلامي برنامجا كفيلا بأن يجعل الأمة قادرة على أن تحتل مكانة رفيعة في عالم الغد ، برنامج متكامل ، يرد على أهم الأسئلة التي تطرح على الإنسان المعاصر ، وضمن لنا ، أو على الأقل قدم إلينا ما يبشر بالأمل في نجاح مثل هذا البرنامج ، وتحقيق التقدم للمجتمع ، سنكون نحن أول المصفقين . لأن القضية قضية مشاكل قبل كل شيء . ومن يقدر على حل كل هذه المشاكل لا بد أن يلقى الترحيب من الجميع ، ولكنني أقول إن هذا لم يقدم حتى الآن ، ويبدو أنه بعيد أن يتحقق حتى اللحظة الراهنة . وأنا لست متفقا مع الأخ الدكتور محمد عمارة في أنه ما نريده من اجتهادات قد تحقق ، ولكن هناك اجتهادات، لا أحد ينكر ذلك ، وهل هي كافية ؟ مازالت بعيدة كل البعد عما يمكن أن يحقق لهذه الأمة المكانة اللائقة بها في العالم الذي نحن مقبلين على مواجهته . حين يظهر هذا ، وهذه كلمة مني ، سنكون أول المصفقين [1] .

الاستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذ فؤاد . والسؤال للدكتور محمد عمارة :

---

(١) [القضية قضية مشاكل قبل كل شيء ، ومن يقدر على حلها يلقى الترحيب من الجميع] هذه خلاصة الأمر كما يتصوره الدكتور فؤاد زكريا ، وبهذا يستوي لديه الحل الاسلامي أو الشيوعي أو الليبرالي أو البوذي أو الهندوسي !! فإن معيار المفاضلة الأوحد هو القدرة على حل المشاكل . لا فضل لإيمان على كفر ولا لتوحيد على شرك إلا باستيعاب المشاكل والقدرة على حلها !!

فليس الأمر عبودية لله أو طلبا لمرضاته أو اختيارا إيمانيا لمنهجه بل المعيار النفعي المادي المجرد !! وللدكتور أن ينظر لنفسه ومدرسته ما شاء في إطار العالمانية التي نذر حياته لنصرتها ، ولكن هذا شيء والدين الذي نعبد الله به عباده المسلمين شيء آخر . إن القبول العالماني بتطبيق الشريعة والذي يستند إلى منطلقات نفعية بحته على هذا النحو لا تبرأ به ذمة ، ولا يقام به دين ، ولا يرفعه الله فوق رأس صاحبه شبرا واحدا ، فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما قصد به وجهه وحده وكان مؤسسا على قاعدة العبودية والقبول الاختياري لمبدأ التكليف الذي هو إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبدا لمولاه .

س : «أستغرب من قول الدكتور عمارة : إن الصراع الفكري بين عالمانيين وإسلاميين ، الصراع في الواقع الحالي بين التيارات الإسلامية نفسها . وقد كتب الدكتور عمارة كتابا حول ذلك ، وهو [اليمين واليسار في الإسلام] فهل حديث اليوم مغاير لفكره الذي تعلمناه في ذلك الكتاب ؟»

جـ : **دكتور محمد عمارة** : الدكتور فؤاد يقول إنني قلت إن الاجتهادات الاسلامية تمت بالعكس ، أنا قلت إن هناك عشرات القضايا تحتاج إلى اجتهاد .. ولكن فيه إجتهادات تمت وتتم .. لقد اتفقنا الآن على أن هناك إجتهادات تمت .. وعلى أننا نحتاج إلى مزيد من الاجتهادات ..

النقطة الثانية : أحيي – تحية حارة – الدكتو فؤاد وإجابته على هذا السؤال الذي وجه إليه .. وقوله إنه لو قدم من التيار الإسلامي حل يواجه كل مشاكلنا لكان هو أول المصفقين .. وأقول إن هذا موقف شجاع أحييه (*) ... [تصفيق] ...

وأما السؤال الذي وجه إلي فيبدو أن هناك خطأ من السائل .. فأنا لست صاحب كتاب [اليمين واليسار في الاسلام] .. وصاحبه هو الأستاذ أحمد عباس صالح .. وبالتالي يبدو أن هناك خطأ لدى صاحب السؤال . وشكرا .

(*) لايخفى أن التصفيق العالماني لتطبيق الشريعة على النحو الذى يناور به الدكتور فؤاد زكريا والذى يعتمد على مجرد المصلحة لا تبرأ به ذمة ولا تحقق به نجاة ولا يرفعه الله فوق رأس صاحبه شبرا واحدا .

إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان إتباعاً لمنهجه ووفاءً لعهده لوجهه .

ولو أن دولة أوربية طبقت أحكام الشريعة في باب المعاملات مثلاً لما رأته من كفالتها بالمصالح ما أصبحت بذلك دولة إسلامية ولا أصبح القائمون عليها من المسلمين .

الاستاذ سعد الرميحي :

شكرا للدكتور عمارة . والسؤال للدكتور فؤاد :

س : «ذكرت أن هناك قطاعات من الشعوب العربية تسمى ضد الديموقراطية ، وليست الأنظمة فقط ، فهل طبق البعض الديموقراطية بمعناها الحقيقي ، حتى يسمى البعض ضدها ؟»

جـ : **دكتور فؤاد زكريا** : بطبيعة الحال لا نستطيع أن نتحدث عن الديموقراطية بمعناها الحقيقي في أي تجربة من التجارب السابقة أو اللاحقة في العالم العربي . فهناك نقص شديد في تطبيق هذه التجربة ، ولكن ، من طبيعة الديموقراطية ومن ماهية الديموقراطية أنها متطورة ، وتبنى على مبدأ المحاولة والخطأ ، يعني جرب وحتى لو فشلت في هذه التجربة فسوف تتعلم من فشلك وستكون التجربة القادمة أفضل قليلا وهكذا ، وهذا هو جوهر الديموقراطية . إن الإنسان يجرب ، ثم يتعلم من فشله ، في هذه التجارب ، ولعلكم تعرفون بالمقاييس المتعارف عليها ، إذا كانت انجلترا أقدم البلاد في الديموقراطية ، بالمقاييس الغربية ، فانجلترا بلد ليس لديه دستور مكتوب ، وكل تجاربها الديموقراطية عبارة عن تراكم للخبرات وتحصل فيها نكسات .. و .. و .. إلخ .. حتى في النكسات يستطيع الانسان أن يتعلم الكثير ، إذن لا نستطيع أن نقول إن هناك تجربة ديمقراطية ، ولكن نقول إن هناك محاولات ، وأي محاولة من هذا النوع ، حتى ولو كانت منقوصة ، يجب أن نشجعها ولا نقف في طريقها ، ولكنني اعتبر أن الحجر على آراء الآخرين ، ومواجهة الخصوم لا برحابة صدر ، أو بمحاولة التشكيك فيهم أو تجريحهم أو بالشوشرة عليهم بالأصوات ، يعتبر حجرا على آراء الناس ، إذا تم الحجر على أراء الناس لا ديمقراطية على الاطلاق . لهذا السبب ، أقول نعم

للديمقراطية ، والديموقراطية الموجودة في العالم العربي منقوصة إلى حد بعيد ، ولكن المفروض أن تتكاتف لإكمال هذا النقص ولو على مدى طويل ، وليس من أجل وأد التجارب وهي في مهدها ... [تصفيق] ...

الأستاذ سعد الزميحي : *شكرا .. والسؤال للدكتور عمارة :*

س : « لماذا التيار الإسلامي يعارض التعددية الحزبية ؟

جـ : **الدكتور محمد عمارة** : أولا : التيار الإسلامي لا يعارض التعددية الحزبية . الشيخ حسن البنا ، عليه رحمة الله ، أدان الأحزاب ، ولكن ، أي أحزاب ؟

ليس فقط « الإخوان المسلمين » هم الذين أدانوا الأحزاب في المرحلة التي سبقت ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م .. الحزب الوطني أدان تلك الأحزاب .. وكذلك مصر الفتاة .. واللجنة العليا للحزب الوطني .. والضباط الأحرار .. جميعهم أدانوا تلك الأحزاب .. كل حركات التغيير كانت تدين الأحزاب في مصر ..

ولكن ، عندما تغير الوضع .. « الإخوان المسلمين» لهم موقف شديد الوضوح ، يعترفون بالتعددية .. بل ويقولون – على لسان أكبر مسئوليهم – يمكن أن تكون أحزاب عالمانية أو أحزاب شيوعية .. هذه أكبر جماعة إسلامية تمثل الاعتدال والوسطية الإسلامية ، فهي تتكلم عن التعددية بهذا الشكل[1] . أما كون شرائح ترفض التعددية ، بل وتكفر الآخر العالماني ، فهذا صحيح » بل ويكفرون الآخر الإسلامي أيضا ؟! .. هذا مرض من أمراض الغلو لم يخل منه عصر .

---

(١) التعددية المقبولة هي التي تدور في فلك سيادة الشريعة وتقبل بمرجعية مصادرها المعصومة فتكون تعددية في الفروع لا في الأصول ، وقد أشار الدكتور عماره إلى هذا المعنى بوضوح في حديثه الممتع في هذه المناظرة [راجع ص : ٣٠] .

ولو أتيحت الفرصة لتيار الاعتدال الإسلامي ، لأصبح الغلو شريحة متحَفِيَّة ، مثل «الفرجة» على الآثار والأحجار المتلكئة في مجرى التاريخ من العصور السابقة ! .. وإنما الذي يجعل هذا الصوت عاليا ، وناقوسا مزعجا ، هو غيبة تيار الاعتدال عن الساحات الشرعية والعلنية ..

لقد كنت أحاور أحد المسئولين في إحدى بلادنا العربية .. وقلت له : لقد كانت لمصر السبعينات تجربة في مواجهة الغلو .. كانت الحكومة تلجأ للمرحوم الشيخ عمر التلمساني لمحاورة تيار التكفير والهجرة .. فلم لا يحدث الآن دعوة تيار الإعتدال لمواجهة وحوار تيار العنف ؟ .. فقال لي المسئول الكبير : وماذا عملوا عندما أتيحت لهم فرصة دخول مجلس الشعب ؟ لقد فشلت تجربتهم ! .. فقلت له : إن هذا الكلام يشهد لي لا لك .. فلو أتحتم لهم فرصة النجاح في العمل من خلال القنوات الشرعية – ومنها البرلمان – لأثبتم فشل القائلين – من الغلاة – إن العمل من خلال هذه القنوات عبث لا يفيد شيئا ؟! .. ولا يقود إلى تبادل حقيقي للسلطة !..

وأنا أقول : لو أتحنا بالفعل الفرصة الحقيقية « للعبة الديموقراطية » لذبل تيار العنف ، تيار الجمود ، تيار التقليد ، الذي يعلو صوته هذه الأيام .. لكن القهر ، وإغلاق القنوات الطبيعية هو الذي يفجر هذه التفجيرات الموجودة ..

ومع ذلك ، فإن فكرة التعددية ، تكتسب المزيد من الأنصار في صفوف الحركة الإسلامية ، فكل أدبيات الحركات الإسلامية تتكلم عن التعددية .. في الأردن يتعايشون مع غيرهم ، وهناك تعددية .. وفي غير الأردن من البلاد . وشكرا .

الأستاذ سعد الرميحي : *شكرا ، والسؤال للدكتور زكريا :*

س : «وصفتم التيار الإسلامي بالإسلام السياسي ، وقلتم إننا كلنا مسلمون . فهل تؤمن بأن الاسلام هو الحاكم والفاصل في كل قضية ؟ أم تعتقد أن هناك نقصا ينبغي إكماله ؟»

جـ : **دكتور فؤاد زكريا :** الجزء الأخير من السؤال يتضمن فكرة موجه هذا السؤال من معتنقي الإسلام السياسي ، فيعني فيه تناقض في السؤال نفسه ، لأنه ، بهذه الطريقة ، وبطريقة توجيه السؤال يبدأ بشيء وينتهي بشيء آخر .

القضية هي ما يأتي : نحن في مجتمعات إسلامية لا شك فيها ، وثقافتنا جزء كبير منها إسلامي ، هذه أيضا حقيقة ، تربينا تربية إسلامية إلى حد كبير ، ربما ليس إلى حد كامل ، ولكن إلى حد معقول جدا . وبالرغم من هذا نحن نقول إن السياسة شيء والتدين شيء آخر . السياسة ... [مقاطعة] ... معلهش ، تحملوني شوية .. السياسة فيها الدهاء والتلاعب والمراوغة والكذب ، والتدين يجب أن يكون مرتفعا فوق كل ذلك ، يعني ، خبروني عندما تحدث معركة يكون أحد أطرافها مثلا إيران ، وهي التي تحكم حكما إسلاميا الآن ، ألا تجدون في كثير من الأحيان تصدر بيان تنفي فيه مسئوليتها عن كذا وكذا ؟ ألا تجدون في كثير من الأحيان يكون هذا البيان كاذب ؟ هذا يحدث ، ودى مقتضيات السياسة ، فأنا لا أعيب عليها ذلك ، لأن دول العالم كلها تلجأ إلى ذلك ، والسياسة كلها فيها هذا اللعب ، وفيها هذا الكذب . وهل أصدرت هذا البيان باسم الإسلام لا ، أصدرته كحكومة عادية ، تتصرف في مثل هذا الموقف ، لا يصح أن تتحمل مسئولية شيء يجر عليها عواقب لا تستطيع أن تتحمل مسئولية شيء عادي ، فهي في مثل هذا الموقف لا نهاية لهذه المناورات والمؤامرات ..

إلخ .. المفروض أن يكون الدين بعيدا عن هذا . هذا رأى البعض الذين أنا منهم . لكن إذا كان هذا الرأي لا يروق للآخرين لهم مطلق الحق في الدفاع عن وجهة نظرهم .

الاستاذ سعد الرميحي : سؤال موجه إلى الاثنين :

س : « ألا يجد المفكران الكبيران بأنهما أرجعا كل مصائبنا للغرب، ونجدهم يطوفون معه على نفس الخط في الخليج ؟ » .

جـ : دكتور محمد عمارة : قبل الاجابة على هذا السؤال الأخير ، أنا لي تعليق صغير على إجابة الدكتور فؤاد حول السياسة ..

السياسة ، في المفهوم الإسلامي من «الفروع» ، وليست من «أصول الدين» ، وبالتالي الخلاف فيها حتى بين الإسلاميين وارد ومعاييره «الخطأ» و «الصواب» وليس «الكفر» و «الإيمان» .. بل إن كل علماء السنة يؤكدون على أن الإمامة والخلافة ، وكل ما يتعلق بها ، ليس فيها «تكفير» ، لأنها من «الفروع» ، وليست من «أصول العقائد» ولا من أمهات الاعتقاد .

القضية الثانية : هي أن مفهوم الدكتور زكريا للسياسة هو المفهوم الغربي ، إنها الكذب والميكيافيلية ! والغاية تبرر الوسيلة .. هذا ليس مفهوم السياسة في الإسلام .. تعريف السياسة في الإسلام : « هي التدابير التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد» . وهذا تعريف ابن القيم – ... [تصفيق] ... فهي مضبوطة بالأخلاقيات الإسلامية ..

القضية الثالثة : هناك فارق بين «المسلم» و «الإسلامي» .. كلنا مسلمون ، أما الحركات الإسلامية ، التي تحمل مهمة المشروع الإسلامي ، فهي التي ينطبق عليها –

وعلى كل حملة هذا المشروع – وصف «الإسلامي» .

في الماركسية يقولون : الطبقة العاملة هي صاحبة المصلحة في الاشتراكية .. ومع ذلك ، لم تترك الاشتراكية للطبقة العاملة .. وإنما قالوا : لا بد من أن يكون هناك حزب طليعي ، كتيبة طليعية ..

إذن ، كل الأمة مسلمة ، ولكن من يحمل هم وأمانة الجهاد في سبيل المشروع الإسلامي للنهضة ، هؤلاء هم «الإسلاميون»

ولم تظهر أوصاف «الإسلامي» للنظم والجماعات ، إلا عندما ظهر البديل غير الإسلامي .. ففي عصر الاجتهاد في الإسلام ، وفي العصور الأولى لم يقولوا : مذهب الشافعي الإسلامي .. أو الحنفي الإسلامي ، لأنها جميعها كانت إسلامية ، ولكن عندما ظهرت مقالات غير إسلامية ألف «الأشعري» كتابه [مقالات الإسلاميين] وكذلك كتب «البلخى» كتابه [مقالات الإسلاميين] .. فلم توصف الأحزاب والجماعات في تاريخنا الحديث – بأنها «إسلامية» ، إلا عندما كانت هناك أحزاب ونظريات «عالمانية» .. للتميز عنها .. ففارق بين «المسلم» و «الإسلامي» .

أما عن السؤال المطروح : فلا أنا ولا الدكتور فؤاد أرجعنا كل الأمور للغرب. .. ولكني ركزت على الفاعل الأصلي في كثير من مشاكلنا .. فأنا لا ألقى التبعة كلها على الغرب ، رغم ما فعله ويفعله الغرب بنا ، وشكرا .

دكتور فؤاد زكريا : الدكتور عماره رد عليّ ، ولم يرد على صاحب السؤال . رأى أن أجابتي من الخطورة بحيث تستحق التعقيب . وتعقيبا على هذا التعقيب : هل خلا التاريخ الإسلامي من مؤامرات القصور ؟ .. الممارسات السياسية هي هي .. وهذه هي طبيعة السياسة ، ولذلك فإن مسألة « السياسة مضبوطة بالأخلاق » هي تعبير عن أمنية .. فالواقع مختلف تماما . وشكرا .

الاستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذين الكبيرين .. وشكرا لكم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الآفاق الدولية للإعلام

(١) مجمع الفردوس بجوار نادى السكة الحديد

تليفون وفاكس : (٢٨٥٩٠٣٨) القاهرة